مكتبة الأسرة المسلمة ـ العدد ١

الصوم

فقه - علم - أخلاق

دكتور

خمساوى احمد الخمساوى

أستاذ بجامعة الأزهر الشريف

دار الهدى للنشر و التوزيع

الطبعة الأولى

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٧/١٥١٦٥

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-5798-02-7

العدد الأول

رمضان سنة ١٤١٨ / يناير سـنة ١٩٩٨



دار الهدى للنشر و التوزيع

٥٥ شارع الدكتور الخمساوى - عرب العايدة - الخانكة

تليفون و فاكس ٤٦٣٣٠٧٥

هذه السلسلة

بسم الله الرحمن الرحيم – و الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله و على آله و أصحابه و من والاه.. و بعد :

فقد استعنا بالله للتوجه إلى الأمة الإسلامية بعمل نحسبه خيرا نحتسبه عند الله زخرا ، بإصدار سلسلة من الكتب الإسلامية الصغيرة و المبسطة التى تتناول موضوعات إسلامية تحتاج إليها الأسرة المسلمة كبيرها و صغيرها ، تتمتع بها قراءة ، وترزق بها من عند الله أجرا ، و تحتفظ بها فى ركن من البيت مرجعا ، و تناولنا فيها موضوعات لا غنى عن معرفتها لكل أفراد الأسرة و سميناها

مكتبة الأسرة المسلمة

و جعلنا أول أعدادها عن الصوم و هو الكتاب الذى بين يديك و نوالى بتوفيق الله تعالى بقية السلسلة بموضوعات مشابهة.

و نحن عزيزى المسلم حريصين على معرفة وجهة نظرك لـــــو كتبت لنا ، لعلك تشاركنا بالرأى و الفكرة و التوجيه لو كتبـــــت على عنوان دار الهدى للنشر و التوزيـــع (٥٥ شـــارع الدكتـــور الخمساوى – عرب العيايدة – الخانكة – قليوبية)

(تليفون وفاكس ٤٦٣٣٠٧٥).

و الشكر و الحمد لله أولا و آخراً ،،،،،

الناشر

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الــذى أشــرقت بنــور وجهــه الظلمــات وأضاءت له السموات و الأرض و صلح عليه أمــر الدنيــا والآخرة ، نحمدك اللهم حمدا يرضيك لا نحصى حمدا ولا ثناء عليك أنت سبحانك كما أثنيت على نفسك ، و نشهد ألا اله إلا الله بديع السماوات و الأرض ،واســع المغفــرة الغفــور الودود، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليــم الحكيم، ونشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، اللهم يا جــامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمعنا بنبينا محمد ﷺ كما جمعت بــين

الروح و الجسد وصلى اللهم و بارك على سيدنا محمد وعلــى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وبعد

فهذا الكتيب عن الصوم تناولت فيه موضوع الصوم مــن جوانب عدة ، و تعرضت فيه للكثير من القضايا الــتي يــهم معرفتها المسلمون فى عصرنا هذا ، وحرصت على أن اجمع فيه بين الفائدة الفقهية بآراء علماء الفقه و المذاهب فى مسائل فقـه الصيام من الناحية العملية مع مناقشة بعــض مســائل الفقــه الحديثة فى الصيام و تطبيق حكم الفقه فيها على وجوهه مثــل حكم الحقنة فى نهار رمضان وحكم اختلاف مطالع الأهلة بـين بلاد المسلمين و حكم الاسترشاد بالفلك فى حساب أوائــــل الشهور و غيرها .

و ضمنت الكتاب بعض نتائج البحوث فى المسائل العلمية المتعلقة بالصوم و قد أشرت إلى المراجع فى حينها بجوار الموضوع الخاص بها لسهولة الرجوع إليها لمن أراد ، مع عدم إعادة ذكرها فى قائمة خاصة فى نهاية الكتاب تقليلا لجهد القارئ وحجم الكتاب .

اللهم إني توجهت بعملى هذا طامعا فى كرمك، فان كان فيه من تقصير أو خطأ فهذا من عند نفسى فاغفر لى فأنت اللهم الغفور الرحيم ، و إن كان فيه من خير فهو من عندك سبحانك يا من عنده خزائن الخير فلا تحرمنى من فضلك وكرمك فأنت الغنى الكريم ، اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم اعلم ،و أعوذ بك من الشر كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم اعلم .

ربنا أتمم علينا نورا و اغفر لنا انك على كل شئ قديـــر ،
وصلى اللهم على سيد الخلق و إمام المرسلين ، الرحمة المـــهداة
والنعمة المسداة سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله الأطــــهار
وأصحابه الأبرار و العاملين بهداه إلى يوم القرار.

خمساوى احمد الخمساوى
١٦ من شعبان سنة ١٤١٨
١٦ من ديسمبر سنة ١٩٩٧

حكمة الصوم

قد يبدو من ظاهر الأمر أن المقصود من حكمة مشروعية العمل العبادى هو بيان العلة من التشريع أو الغاية منه ، لكـــن هذا ليس صحيحا بحال من الأحوال ، ويمكن إرجاع ذلـــك لسببين:

السبب الأول :

أن الله تعالى هو الآمر بالعبادات وهو سبحانه **"لا يســـأل عما يفعل وهم يسألون "** فأمره واجب الطاعة دون نظـــر إلى علة أو سبب إلا ما ذكر الله تعالى له حكمة صريحة فى معـــنى صريح . لان الغاية من خلق الإنسان أساسا هـــى العبـــادة ، فالعبادة فى ذاتها غاية ما بعدها غاية ، قال تعالى :

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

الذاريات

السبب الثانى :

أن الحكمة من مشروعية العمل العبادى هـــى مـــن طلاقة اسم الله "الحكيم" وهى حكمة يستحيل علــى البشــر وعلى الخلق إدراكها أو الإحاطة بها ، قال تعالى : فى ســـورة التوبة

وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾

وقال تعالى: فى سورة التين

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

وإنما المراد من حكمة مشروعية الأمر العبادى إنما هو مضاهاته بما يتحقق مع أدائه من مصالح دنيوية وأخروية على حد علم البشر .

والصوم عبادة عجيبة تتفرد بين العبادات فى كونها العبادة الوحيدة التى تحتاج إلى زمن طويل متواصل بالثبات عليها دون تفريط ، مما يجعلها على هذا النحو لا تؤدى لغير الله بحال من الأحوال .

ومعنى أنها تحتاج إلى زمن طويل متواصل أن الصائم لابد أن يمتنع عن تناول كل مفطر من طعام أو شراب من الفجر إلى الغروب وهو ما يزيد دائما عن عشر ساعات وقد يصل إلى ١٨ ساعة ويتكرر ذلك فى كل يوم لمدة تسعة وعشرين أو

ثلاثين يوما فى حين أن فترة أداء الصلاة فى الوقت الواحد بضع دقائق ثم يتحلل المصلى من العبادة إلى سائر أحواله حتى تحين الصلاة الأخرى، وفترة أداء الشهادة بضعة ثواني وفترة أداء الزكاة بضع لحظات وحتى أداء الحج فإنه يصح بأعمال متفرقة كل منها يحتاج إلى وقت قصير كالطواف والذبح والرمى وحتى الوقوف بعرفة وهو ركن الحج الأساسي يصح ولو بوقت يسير فى موعده المحدد من يوم عرفة .

وعلى ذلك نجد إن الناس قد يعظمون بعضهم بعضا وقد يعظمون بعض المخلوقات من دون الله (والعياذ بالله) فيتوسلون إليهم أو يتعاملون حيالهم بأعمال تشبه هذه العبادات .

فيعظم الناس بعضهم بالكلام والألفاظ والحمد والثناء والشكر والتبجيل والذكر وتلك أعمال من جنس الشهادة

والذكر وهذا أمر واضح فى مسائل العقيـــدة بـــين المؤمنـــين والمشركين قال تعالى : فى سورة الزمر

وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

بل إن القرآن الكريم يخاطب حتى المؤمنين بأن يرفعوا ذكر الله عن ذكر ما سواه حتى ولو كانوا آباءهم مما دل علـــى أن الذكر وهو من جنس الشهادة قد يشترك فيه العمل لله تعالى أو لغيرة قال تعالى :

فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾

كذلك نجد أن من الناس من يسجد أو يركع للملــوك أو لغيرها من المعبودات المزيفة، قال تعالى على لسان هدهد سيدنا سليمان علية السلام .(سورة النمل آية ٢٤)

وَجَدتُّهَــا وَقَوْمَهَــا يَسْــجُدُونَ لِلشَّــمْسِ مِــن دُونِ ٱللَّــهِ

كذلك نجد من الناس من يصرف الأموال ويدفعها ابتغــاء رضى الملوك وقد يدفع هذه الأموال لإصــــلاح صناعتــــهم أو إطعام خدمهم وجنودهم للتقرب إليهم والتماس الرضا عندهــم وهذا ما يشبه في ظاهرة عبادة الزكاة .

وفي تصوير هذا النوع من التشابه ما حدث عندما أرادت ملكة سبأ أن ترسل بالمال إلى سيدنا سليمان علية السلام مــــن منطلق انه ملك لا من منطلق انه رسول رب العالمين قال تعالى :فى سورة النمل أيضا

وَإِنِّى مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم
بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾

وكذلك يحج الناس قاصدين العظماء والسادة أو قاصدين الأماكن المتميزة مما يعرف بالسياحة وزيارة الآثار والمناظر الطبيعية وغيرها وفى ذلك ما قد يتشابه فى ظاهره مع عبادة الحج لان فى زيارة العظماء تعظيم وتبجيل لهم .

وأيضا من طرق التعظيم والتقدير أن الناس كلما عظموا أحدا صاموا عنده سواء الصيام بمعنى الإمساك عن الكلام أو الصيام بمعنى الإمساك عن الطعام والشراب فإذا حضر العامة مجلس الملوك سكتوا لا يتكلمون كما يجلسون إلى بعضهم وإذا حضر العامة مجلس من هو اكبر منهم لا يتكلمون فى حضرته ولا يدخنون إجلالا له وتعظيما .

وكل عمل أو سلوك يفعله الكافر من هذه الأنماط تعظيما لمن يعبد أو إجلالا لمن يجل قد يتشابه تماما من حيث الكيفية والوقت أو طول العمل ما يسلكه أو يفعله المسلم فى عبادته لله إلا في حالة الصوم .

فلا يصوم الناس عن الطعام والشراب أمام ملوكهم يوما لان الصوم سيكون إجلالا للملوك فى حضرتهم والملوك لا يبقون مع الناس فى الجلسة يوما لا يتفترون ، كما انهم هم أنفسهم يحتاجون إلى الطعام والشراب فإذا ألزموا الناس البقاء معهم وظلوا فى مجلسهم صاموا هم أيضا عن الطعام والشراب فكأنما هم عبدوا الرعية كما عبدتهم رعيتهم، وهم يعجزون عن متابعة أداء سلوك الصوم تجاههم فى حين قد يراقبون أداء سلوك الذكر والمال والتحية والزيارة.

ومن هنا كانت عبادة الصوم هى اكثر العبادات تفوقـاً فى الإخلاص لله فلا يتعبد أحد لمعبود بالصوم إلا عبادة الله تعالى.

لذلك يقول رسول الله ﷺ فيما بلغ عن ربه فى الحديث القدسى " **كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لى وأنا أجزى به** " -أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه وفى رواية أخرى لهم عن أبى هريرة أيضا أن النبى ﷺ قال : **كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى .**

" قال ابن الأثير فى التعليق على هذا الحديث فى جامع الأصول " *إنما خص الصوم والجزاء علية بنفسه عز وجل وان كانت العبادات كلها له وجزاؤها منه ، لان جميع العبادات التى يتقرب بها إلى الله عز وجل من صلاة وحج وصدقة*

واعتكاف ودعاء وقربان وهدى وغير ذلك من أنوا ع العبادات ، قد عبد المشركون بها آلهتهم وما كانوا يتخــــذون دون الله أندادا به ولم يسمع أن طائفة من طوائف المشركين في الأزمــان المتقادمة عبدت، آلهتها بالصوم ولا تقربت إليها به " .

وإذا تعرضنا للمضاهاة بين عبادة الصوم والمنافع التي قـــد تتحقق معها والتي تصاحبها سنجدها كثـــيرة وكلمـــا زادت معارف الإنسان كلما تكشفت له جوانب أخرى مـــن هـــذه المنافع، وسوف نعرض فيما يلي بعضـــها وعلـــى الله قصـــد السبيل.

الجوانب الدينية للصوم

نقصد إن شاء الله بالجوانب الدينية معنيين :

المعنى الأول : أى الجوانب التى أحطنا بها علما بطريق ديني مصدره التشريع السماوى سواء فى كتاب الله عز وجل أو فى سنة رسوله الكريم ﷺ .

المعنى الثاني : أى الجوانب التى تسوقنا إلى خير ومنافع دينية لا تعد خيرا ولا تعتبر منافعاً إلا من منطلق التصديق بالدين فالمؤمنون فقط هم الذين ينتظرون هذا الخير ويلتمسون هذا النفع ويشعرون به ويدركونه.

وإجمالا سنجد أن هذه الجوانب قد لا يصدقها الكـافرون ولا يدركونها بحسهم لأنها على المعنى الأول مصدرها التشـريع الذى يكفرون به وعلى المعنى الثانى منافعها أخروية وهـــم لا يؤمنون باليوم الآخر.

الصيام والقرآن :

أول ما يلفت نظر المسلم هو ارتباط الصيـــام بـــالقرآن واقترانهما من حيث الزمان بشهر رمضان .

قال تعالى :

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ

سورة البقرة الآية ١٨٥

فالقرآن هو كلام الله وشرعه وهو المعجزة التى أيد بها خير الخلق سيدنا محمد ﷺ وهو بيان للناس وهو الذكر الحكيم وبنزوله على قلب ولسان سيدنا محمد ﷺ بدأ عهد جديد فى ترقى بنى آدم وبناء حضارهم ولا عجب أن يكون زمان هذا النزول عيدا لا يدانيه عيد وأمرا" عظيما" فى شئون الخلق لا يدانيه أمر، فهو زمان لا يحسب بالساعة أو اليوم أو الليلة التى نزل فيها بل يمتد إلى الزمان كله فيشرفه ويعلى قدره .

خلق الله تعالى الزمن كما خلـــق المكـــان والأجســـام والأرواح ولما نزل القرآن إلى الوجود المادى أناره وشرفه فجاء فى المكان فى حرم الله وبيته وبلده الأمين فأكرم الله هذا المكـان وشرفه فجعل فريضة الحج إليه وجعل فيه بيته الحرام ورفع اجر الصلاة فيه إلى اجر ألف صلاة أو مائة ألف صلاة (على قـــول آخر) .

وجاء فى الأجسام فى قلب سيد الخلق ومصطفاها الـــذى جعله الله سيد المرسلين وإمام الأنبياء أجمعين، وقد شـــق لـــه صدره قبل إن ينـــزل فيه لينقيه ويطهره وجعل قدره فى الخلـق فوق الخلق جميعا ورفعه إليه إلى ما بعد سدرة المنتهى وأوصلـه إلى الدرجة التى ما وصل إليها مخلوق .

وجاء فى الأرواح فإذا هو روح فاخذ منـــها اسمـــها فسمى به، وأعطاها أسمه فكانت بها الحياة ،ووقع عليها وهـــو

كلام الله فإذا هى ذاتها من أمر الله قال تعـــالى : فى ســورة الإسراء

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

فهل إذا نزل القرآن بالزمان، ألا يكرمه؟! ..أوَلا ينــزل بأشرف أوقات هذا الزمان؟! ..

لقد انزل فى ليلة مباركة كريمة تتطاول إليـــها الليـــالى والأيام فلا تقاربها وتتعاظم فى الفضل والشرف فلا يصل إليـها زمان، قال الله تعالى فى سورة القدر:

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾

وكذلك تعدى تشريفه للزمان حدود الليلة التى نـــــزل فيها إلى الشهر كله فأكرم الله تعالى من اجل القرآن الشـــهر الذى نـــزل فيه فجعله محلا لفريضة الصوم كما جعل المكـــان الذى نزل فيه محلا لفريضة الحج ،ثم تعدى التشريف حـــدود الشهر إلى القرن الذى انزل فيه فجعله خير القرون قال رسول الله ﷺ (**خيركم قرنى ثم الذى يلونهم**) - أخرجه البخـــارى ومسلم وغيرهما عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

وفريضة الصيام فريضة زمنية كما قلناهي وليست مجـــرد فريضة سلوكية، إذا أنها ليست مجرد الإمساك عن الشـــهوات والطعام والشراب فالناس تمسك عنهما فى حضـــور الملـــوك والسادة لا يمسكون إلا أمامهم وتحت نظرهم لا فى زمـــان مخصوص إذا انقضى أكلوا وشربوا، بل هى فريضة فى الزمـــان

جعلها الله تعالى قرينة شهر رمضان وهو الزمان الذى انزل فيه القرآن.

الصيام وليلة القدر

إذا كان القرآن قد نزل فى شهر رمضان قطعـــــا بنـــص صريح الآية الكريمة فى القرآن الكريم :

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ

فهو أيضا انزل فى ليلة القدر بنص القرآن الكريم أيضـــــا

إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾

وقد اكرم الله تعالى الشهر فجعله كما قلنا محلا لفريضة الصوم وكرم الليلة فجعلها خير من ألف شهر ثم جعلها فى شهر الصوم فلا يصادفها إلا صائم، فشاركها الصوم فى الزمان وشاركها فى نوع المنحة التي تتم فيها وهى الدعوة المستجابة : فمن دعى فى ليلة القدر استجيب له، ومن دعا وهو صائم عند فِطره استجيب له، قال رسول الله ﷺ :" **ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين**" - أخرجه الإمام احمد والترمذى وحسنه و أخرجه أيضا ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما عن أبى هريرة رضى الله عنه ولفظ ما أخرجه البزار (**ثلاثة حق على الله ألا يرد لهم دعوة: الصائم حتى يفطر، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يرجع**) .

وقد قرن رسول الله ﷺ ثمرة ليلة القـــدر وثمـــرة صـــوم رمضان بمنحة واحدة فقال : **(من قام ليلـــــة القـــدر إيمانـــا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان إيمانـــا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)**. – أخرجه البخارى وأبو داود والنسائي والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

ومما يستحق الانتباه أن جائزة الحج الذى هو الفريضة التى شرف بها مكان نزول القرآن أيضا هى نفس الجـــائزة قـــال رسول الله ﷺ : **(من حج لله عز وجل فلم يرفث ولم يفسـق ، رجع كيوم ولدته أمه)** – أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ومعناه غفر له ما تقدم من ذنبه وفى رواية الترمذى **(من حج لله عز وجل فلم يرفث ولم يفسق ، غفر له ما تقدم مـــن ذنبه)** .

الصيام أحاط بأركان الإسلام الخمسة

المتأمل لأركان الإسلام يجد أن بناءها لا يكون إلا مـــن توجيه العليم الخبير، فكل ركن منها يرتبط بالأركان الأربعـــة الأخرى وفى معرض حديثنا هنا عن الصوم وهو مـــن هـــذه الأركان الخمسة نجد أن بينه وبين الأركان الأربعة الأخـــرى ارتباط ظاهر .

الصيام والذكر

فارتباط الصيام بالشهادتين هو ارتباط بالذكر وتوحيـــد الله وتمجيده وحمده والثناء عليه، والذكر فى مجمله هو القـــرآن الكريم الذى جاء فى ثلث غاياته للتوحيد والشهادة لله تعـــالى

بالوحدانية حتى أن سورة الإخلاص قال عنها العلماء إنها تعدل ثلث القرآن لأنها تناولت قضية التوحيد.

والصوم مرتبط بالقرآن الكريم أيما ارتباط ، فالصوم هــو الفريضة التى شرف الله بها الشهر الذى انزل فيه القرآن، وقــد قرن الله تعالى الصيام بالقرآن وبرسول الله ﷺ الذى نزل عليـه هذا القرآن والذى لا يصح الإسلام إلا بالشهادة له بالرســـالة فلا شفاعة يوم القيامة إلا لثلاث :

لرسول الله ﷺ حيث يقول : (**أنا أول شافع ومشـــفع ولا فخر**) – أخرجه الدارمى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وقال السيوطى حديث حسن

والشفاعة للقرآن وللصوم قال رسول الله ﷺ : (**القرآن شافع مشفع**) أخرجه ابن حبان عن جابر والطبرانى عن ابـــن

مسعود قال رسول الله ﷺ: (**الصيام والقرآن يشفعان للعبـد يوم القيامة . يقول الصيام : أى ربِ إنى منعتـــه الطعــام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : ربِ منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، فيشفعان**) – أخرجه الإمام احمـد والطبرانى والحاكم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقـال السيوطى حديث صحيح .

و الصيام يرقى بالعبد فى اتجـــاه الإحســـاس بـــالتوحيد والصمود لله تعالى فالصمدية فرع الوحدانية و خاتمها، قــــال رب العزة فى سورة الإخلاص:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾

والصمد هو الذى لا جوف له ولا يطعم الطعام .

الصوم والصلاة :

كثيرا ما يرتبط صيام النهار بقيام الليل فالصوم والصلاة يقترنان معا اقترانا ظاهراً، فالصلاة ذاتها أشد أنواع الصيام فالمسلم فى الصلاة يصوم عن الطعام والشراب والشهوة بل يصوم حتى عن الكلام إلا ما كان قرآناً وليس فى الألفاظ التى تذكر فى الصلاة إلا وهى ألفاظ قرآنية ويمسك عن الحركة إلا ما كان من حركة الصلاة ذاتها .

ومع هذا فإن للصوم صلاة خاصة لا تكون إلا معه وهى صلاة التراويح التى تتم بعد صلاة العشاء طوال شهر الصوم (شهر رمضان).

الصوم والزكاة :

ارتبط الصوم بالزكاة حتى لهج الناس بذلك فلم يعد يسبق إلى ذهن أحد عن حكمة الصيام إلا الشعور بالجوع حتى يحس الغنى بشعور الفقير الجائع فيعطيه، إلا أن الزكـــــاة ارتبطـــت بالصوم اكثر من ذلك إذ شرعت للصوم زكاة خاصة تـــؤدى قبل الإفطار من آخر عهد المسلم بالصوم وهى زكاة الفطر .

الصوم والحج :

قلنا أن الصوم والحج هما الركنان أو الفريضتان اللتـــــان اكرم بهما زمان ومكان نزول القرآن، فهما فى ذلك شـــريكتان ولما كان الزمان والمكان يحددان الحدث ويقيدانه فيذكر الحدث مع زمانه ومكانه جعلهما الإنسان فى الأحداث العظيمة مـــــن

حياته موعد فرحة ومكان احتفال، وجعل لأجَلّ الأشـــياء فى حياته – مع الزمان والمكان – عيدا يفرح فيه ويُظهر حبـــوره بكافة الأشكال ويوزع أصحاب الشأن فيه الهبات والجوائـــز على رعاياهم .

إن البشرية كلها ليس لها أن تحتفل بمناسبة اشـــرف ولا أعظم من مناسبة نزول القرآن الكريم، لذلك جعل الله تعالى فى ركنى المناسبة " **الزمانى والمكانى** " مسابقة.

ركن الزمان :

مسابقة الزمان ومحلها شهر رمضان جعلـــت بعنـــوان الصوم وجعلت فيه فرصة الوقت للاجتـــهاد والإكثـــار مـــن العبادات : كالصلاة والصدقات والزكـــاة وتـــلاوة القـــرآن والعلم ومدارسته والعمرة والزيارة ، ثم ينتهى الاحتفال بتوزيـع

الجوائز على الفائزين من ملك الملـــوك ورب الأربـــاب ، الله العلى القدير فى ليلة القدر ثم يعقبها الفرح والحبـــور ولبـــس الجديد، وزيارة الأهل يوم العيد المسمى **بعيد الفطر** بعــــد أن يتناول الجميع – غنيهم وفقيرهم – حلوى العيد وطعامه بزكاة الفطر التى فرضها الرحمن على عباده من ماله الـــذى تحـــت أيديهم ليعدوا مائدة الرحمن يوم العيد .

ركن المكان :

و مسابقة المكان ومحلها فى البلد الحرام جعلت بعنـــوان الحج وجعلت فى نفس الوقت اجتهادا فى بقية سبل الاجتـــهاد والعبادة: فى الصلاة فى المسجد الحرام والطواف والسعى بـــين الصفا والمروة والصدقات ممثلة فى الهدى والبُـــدُن والقلائـــد، والذكر بالتلبية والتهليل والتكبير، وفى الإمساك عن القبائح من رفث وفسوق وجدال، والإمساك عن شهوة الفرج حتى عـــن

الزوجة، والإمساك عن شهوة الملبس إلا من ملابس الإحـــرام، والإمساك عن الأذى بكل ذى حياة، ثم ينتهى الاحتفال بتوزيع الجوائز على الفائزين ممن كان هذا بيته وذاك بلده رب الأرباب وملك الملوك فى يوم عرفه وعلى جبل عرفات ثم يعقبه الفـــرج والحبور ولبس الجديد وذبح الذبائح فى يوم العيد المسمى **بعيـد الأضحى** .

ومع اشتراك الاحتفالين فى معظم الظواهر والجواهر فـــإن مع الصوم فى شهر رمضان ومع الحج فى البيت الحرام رمزيـــة أخرى غير العيد فمثلما احتوى شهر رمضان مع الصوم علـــى رمزية من الزكاة هى زكاة الفطر، ورمزية من الصـــلاة هـــى صلاة التراويح فكان مع شهر رمضان والصوم رمزيه من الحـج هى الاعتكاف فالاعتكاف هو الاحتباس فى أحـــد المســـاجد ويفضل المسجد الجامع والانقطاع فيه للصلاة والذكر والعلـــم

وقراءة القرآن وهو احتجاز مكانى فى بيت مـــن بيـــوت الله كرمزية للاحتباس فى بيت الله الحرام خلال مناسك الحج.

٤- الصيام والتوبة :

كفارات الخطأ أو التقصير فى إتباع سبل الشرع يكـــون بأحد طريقتين : إما بالصدقات وإما بالصيام .

فالتوبة نتيجة التقصير أو الإهمال أو الكسل أو ما شـــابه ذلك إنما تكون بالعزم الأكيد على عدم تكرار هـــذا الفعـــل، وللعبد أن يتخذ من الوسائل العملية ما يكون ضماناً له عـــدم تكرار الفعل الذى هو يتوب عنه.

فمثلا الأيمان والظهار والقتل الخطـــأ والخطـــأ (بمعـــى الجنايات فى الحج) وغيرها يكفر عنها بالصيام وتبدو دلالـــــة هذا الربط بين الصيام والتوبة من الذنوب من حيث أن الصيــلم تربية للمسلم حتى لا يعود الى الذنوب مرة أخرى .

الجوانب الأخلاقية للصوم

قبل أن نتعرض للجوانب الأخلاقية للصوم يجدر بنا أن نقف وقفة قصيرة عند المفاهيم التالية : ما هى الأخلاق؟ - وما ضوابطها؟ وما صلة الدين بالأخلاق؟ وما علاقتها بالصوم؟ .(أرجو ألا تمل عزيزى القارئ بمظنة أن هذه الأسئلة بعيدة عن موضوع الصوم . فإن الصلة التى نرمى إليها سوف تبدو واضحة بعد الإجابة على هذه الأسئلة) .

ما هى الأخلاق؟

الأخلاق هى التصرفات الإرادية سواء كانت أعمالا أو أقوالاً أو تعبيرات إيجابية أو سلبية والتى يمكن الحكم عليها بالخير والشر .

ومعنى ذلك أن التصرفات بصفة عامة إما أن تكون غــير إرادية مثل التنفس ونبض القلب والنمو والأحلام أثناء النــوم والكحة وغيرها وهذه ليست من الأخلاق لأنها لا توصــف بالخير أو الشر وإما أن تكون إرادية توصف بالخير أو بالشــر وهى إما **سلبية** بمعنى عدم العمل أو عدم التصرف فى موقــف يستدعى العمل والتصرف كالسكوت عن الشهادة أو عــدم إنقاذ شخص يكاد يغرق وهكذا ...وهذا من الشر، وكذلــك السكوت عن ذم الناس ولو لم يمدحهم وعدم التدخل فيمــا لا يعنيه وهكذا، وهذا التصرف سلبى لكنه من الخير .

وإما أن تكون التصرفات **إيجابية** مثل: الصدق والشجاعة والكرم وهذا من الخير أو السرقة والكذب والبخل وهذا مــن الشر .

والأخلاق على هذا المعنى الواسع تشمل نوعين من التصرفات سواء كانت سلبية أو إيجابية .

النوع الأول : من الممكن ضبطه وتحديده وإثباته، وهو يخضع لأحكام القضاء فإن كان خيرا سمى (**خدمة**) واستحق فاعله جزاء دنيويا يسمى (**حق**)، وإن كان شرا سمى (**جريمة أو جناية**) واستحق فاعله عليه جزاء دنيويا يسمى (**عقوبة**) وتسمى مسئولية الإنسان تجاه هذه التصرفات من حيث فعلها أو تركها **بالمسئولية القانونية** .

ومن أمثلة ذلك من تصرفات الخير: الحراسة والزراعة والتعليم والتجارة وغيرها وكلها تنشئ لصاحبها عند المجتمع حقا مدنيا يناله فى صورة أجر أو خدمة ومن تصرفات الشر: السرقة والزنا والربا والقتل والجرح والضرب وغيرها وكلها جرائم يستحق صاحبها العقوبة .

النوع الثانى : مالا يمكن ضبطه أو تحديده أو إثباته وهـو قسمين :

القسم الأول : ما كان من نفس جنس التصرفات التى يشملها النوع الأول إذا لم يتمكن أحد من ضبطـها أو مـن تحديدها أو من إثباتها وبالتالى تصعب المجازاة عليها فى الدنيا من قبل البشر سواء بالخير أو بالشر كمن سرق شيئا و لم يكتشـف أحد هذه السرقة أو من زنا سرا و لم يره أحد، وما يزال هـذا القسم تحت المسئولية القانونية وان كان المجتمع لا يسـتطيع أن يعاقب فاعله لا بالخير ولا بالشر .

والقسم الثانى :ما كان التصرف فيه بطبيعته صعـب الضبط أو صعب التحديد أو صعب الإثبات على سبيل اليقـين وإن أمكن معرفته على سبيل الظن والتخمين ،ومنها ما يكـون شرا مثل: الكذب والحسد والبخل وكتمان العلـم والريـاء

والكبر والغرور وغيرها، ومنها ما يكون خيرا" مثل :الصدق والتواضع والكرم وغيرها، وهذا القسم لا يندرج تحت المسئولية القانونية ولا يعاقب فاعله لا بالخير ولا بالشر .

ومن هنا نلاحظ أن سلطان الأخلاق أوسع وأعم لأنه يشمل النوعية والقسمين فإذا كان الرادع للشر الذى هو من النوع الأول هو العقوبة الجنائية والمشجع على الخير هو الحق فى صورته النقدية أو الخدمية فإنما يقع ذلك من جانب المجتمع بما يكون كأنه الجزاء العادل لهذه التصرفات ومع ذلك فإنه لا يمنع من أن يكون الجزاء أو العقوبة بالإحسان أو بالخزيان إنما يتحقق من الله تعالى يوم الحساب فى الآخرة .

ولو نظرنا إلى حجم التصرفات التى تتحقق فيها المسائلة القانونية من بين التصرفات الأخلاقية بصفة عامة لوجدنا إنها قليلة للغاية وخطرها اقل بكثير .

فتصنيف التصرفات الأخلاقية إلى ما يقع تحـــت طائلـــة المسائلة القانونية وما لا يقع ،والتفرقة بين ما تقع يد القـــانون عليه من الجرائم وما لا تقع ،لا شأن له بخطر التصرف وحجمه بل يرجع إلى إمكانية ضبطه من عدمه، ويظل الخطر الأكـــبر يكمن فى التصرفات الأخلاقية التى لا تقع تحت طائلة القانونيـة أو التى لا يستطيع القانون أن يضع يده عليها .

تلك هى توصيات وتعليمات رجال القانون والاجتمـاع وعلم النفس والفلسفة، لكن هذا الوصف عند رأى الدين إنمـا هو وصف تصرفات الإنسان بأنها إما ذنوب وإما طاعات فكل فعل يوصف بالخير هو طاعة وهو عبادة ، وكل فعل يوصـــف بالشر فهو ذنب ،وهذا هو وصف الأخلاق عند رأى الدين

قال تعالى فى سورة الزلزلة:

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

ولنعلم أن القصاص من المسئ المرتكب لهـــذه الجرائـــم الأخلاقية لا يجبر الضرر الذى أصاب المجتمع أو بعض أفـــراده بأى حال من الأحوال بل هو كما يضر بالمسيء ويؤذيه فـــإن هذا القصاص ذاته ضرر للمجتمع ولبعض أفراده مضافـــا إلى الضرر الناشئ عن جريمة المجرم، فإذا قتل شخص شخصا آخـــر خسر المجتمع أحد أفراده وتأذى أهل القتيل بوقع الجريمة، وهم من أفراد هذا المجتمع فإذا تم القصاص فأعدم القـــاتل لم يجـــبر الضرر الأول فلا تعود الحياة للمقتول ولا ينقـــذ أولاده مـــن

مرارة اليتم، بل أضيف إلى المجتمع ضرر جديد بأن فقد فـــرد آخر من أفراده ونال أهل القاتل بإعدامه وهم من أفراد نفـس المجتمع مرارة فقد صاحبهم ومرارة إعدامه ونال أولاده اليتــم كذلك.

لذلك يكون الأولى بالمجتمع الإنسانى لو أنه ربى أفـــراده على عدم ارتكاب هذه الجرائم أساســاً، ومعــنى ذلــك أن المسئولية القانونية لا تحمى المجتمع من ضرر الجرائم بل تضيــف إليه أضرارا أخرى ، إن كانت هى الوسيلة العملية الوحيــدة لضبط سلوك أفراد المجتمع وتهديدهم بالوعيد الذى ينتظرهم لو أقدموا على هذه الجرائم عساهم يرتدعون فلا يقدمون عليها .

ومعنى ذلك أن تنفيذ العقوبة فى المجرم المسىء لا يكـــون الهدف منه إصلاح الخسارة التى تحققت بقدر ما يكون توجيــه للآخرين ممن لم يرتكبوا إساءة بعد.

نخلص من ذلك إلى انه لا بد وان يكون لدى الإنسان جارحة تستقبل هذا التوجيه ويتم فيها هذا الإصلاح وتتكفل هى بمنع حدوث الإساءة من الفرد ذاته، أى أن هناك ضوابط للأخلاق توجد فى تكوين الإنسان فما هى هذه الضوابط وهذا هو السؤال الثانى :

ما هى ضوابط الأخلاق؟

أو بمعنى آخر ما الذى يجعل معظم الناس تتصرف بالخير فى معظم التصرفات فلا تقتل ولا تسرق ولا تكذب ولا تزنى وتنجد الملهوف وتكرم الضيف وهكذا، هل لان الإنسان مخلوق هكذا مفطور علية، وذلك كما خلق الحديد يتمغنط والنحاس يتكهرب والماء يتجمد عند درجة الصفر ، لو كان الأمر كذلك لكان الناس على خُلُق واحد :إما على الخير وإما

على الشر فى جميع التصرفات كما أن جميع النحاس موصل للكهرباء فلا توجد قطعة موصله وأخرى غير موصلة .

أذن لابد أن تكون فى الإنسان جارحة (أى تكوين من تكويناته ولو لم نميزها كعنصر) مسئولة عن ذلك التصرف الإرادى ويمكن تفسير اختلاف الناس بين الخير والشر على أساس وجود هذه الجارحة من عدمه، فإذا افترضنا أن الذى توجد فيه هذه الجارحة يكون خيّرا والتى تغيب فيه يكون شريرا مثل جارحة الجنس (وهى كروموزوم فى الخلية) إذا وجد فى فرد كان ذكرا وإذا غاب كان أنثى لكان الخيرون خيرين دائما والمسيئون مسيئين دائما ولا سبيل لتغيير هذا ولا تغيير ذاك ، لكن الملاحظ أن جميع البشر_ فيما عدا المعصومون من الرسل_ يحسنون ويسيئون ، يخطئون ويتوبون.

قال رسول الله ﷺ " **كل بنى آدم خطاء وخير الخطــائين التوابون** " .

أخرجه الإمام احمد فى المسند والترمذى وابــــن ماجــة والحاكم عن أنس رضى الله عنه وقـــال الســيوطى حديــث صحيح.

فلا بد إذن أن تكون هذه الجارحة موجودة فى كل إنسان لكنها تكبر وتصغر أو تقل وتزيد أو تتغير من حال إلي حـــال، وتغير الجوارح إما مطرد كنمو الشعر فإن طال لا يقصر ونمـــو العظام فإن طالت أو غلظت لا تقصر ولا ترفع ،وإما متقلــب أو متغير التغير كعدد مرات التنفس وكضغط الـــدم ودرجـــة حرارة الجسم، ولابد وأن تكون هذه الجارحة المسئولة عـــــن التصرفات الإرادية (الأخلاقية) من النوع المتغير المتقلب لأنها لو كانت من النوع المطرد لكان الطفل شريرا ثم يتحـــول إلى

الخير كلما كبر أو العكس ولكن الناس ليس كذلك بل التغـير فيهم بين الخير والشر متغير .وكل جارحة تتغير بغير اطـراد أى يتغير تغيرها أو تتقلب يمكن تدريبها، فالعظام تنمو مطـردة ولا تنقص فلا يمكن تدريبها لكن العضلة تنمو بغير اطراد فهى مـن النوع القابل للتدريب، فالشخص الذى يدرب عضلاته ويثـابر على تدريبها تكبر وتقوى والذى يتركها تترهل وتضعف، مـن خلال هذا الاستعراض السريع نخلص بالتالى.

إن المسئول عن ضبط الأخلاق إنما هو تكوين فى الإنسان (جارحة)، يوجد فى كل الناس ،وهو متقلب، ويمكن تدريـب لتقويته، ويمكن تركه فيضمر ويضعف .

لم يبقى إلا إن نقول وما هو هـذا التكويـن أو تلـك الجارحة وما هو اسمه؟

لا شك أننا أصبحنا على قناعة بوجود هذا التكويـــن فى الإنسان وكدنا نلم بطبيعته ووظيفته إذ هو المسئول عن ترشيح الإرادة وتنقيتها لتكون فى اتجاه الخير وكلما كان هذا التكوين قويا سليما كلما تم الترشيح جيدا، فيسمح بالتصرفات الخـــيرة فقط ويمنع التصرفات الشريرة، وكلما قلت قوة هذا التكويـــن أو ضعفت أو اعتلت كلما تسربت منه التصرفات الشريرة .

وأما اسم هذا التكوين فقد اختلف التعبير عنه بـــاختلاف الذين تناولوه من الزاوية التى نظروا منها، ولكى لا نطيـــل فى بحث هذه الجزئية نكتفى بذكر ثلاثة زوايا نظر منها من نظـــر فأعطى لهذا التكوين (الجارحة) اسما مميزا.

الزاوية النفسية:

ويقصد بها الزاوية الاصطلاحية فى علم النفـــس حيـــث يضيف علماء النفس هذه الجارحة أو هــــذه الحاســـة كمـــا يصفونها إلى العاطفة ويعتبرونها متصلة بها ويسمونها "**الوجدان**" أو قد يضيفها آخرون إلى العقل ويسمونها العقـــل العملـــى ويسميها أصحاب التحليل النفسى "**الأنا العليا**".

الزاوية الاجتماعية:

اصطلح الناس على تسمية هذه الحاسة أو هذا التكويـــن باسم " **الضمير** " واتفقوا على خصائصه و لم يخالفوا علمـــاء النفس أو غيرهم إلا فى تصور منشأه أو طبيعته أو غيرها مـــن التفاصيل، لكن مفهوم الضمير عند جميع الناس متفـــق عليـــه واضح جلى مطابق لما سبق أن وضحناه ويعرف الضمير بأنـــه

"استعداد نفسى لإدراك الخبيث والطيب من الأعمال والأقوال والأفكار والتفرقة بينها واستحسان الحسن واستقباح القبيح منها ".

الزاوية الدينية :

ركزت الأديان وخاصة الإسلام على وصف الضمير وربطه بالأخلاق، ومع إن لفظ " **الضمير**" لم يرد فى النصوص القرآنية ولا النبوية إلا انه ورد بأسماء أخرى حيث أن لفظ الضمير يبدو انه لفظ تأخر استعماله ، سمى بذلك فى عهود متأخرة لأنه يطلق على ما تضمره فى نفسك ويصعب الوقوف عليه ، ولما كان ذلك الإضمار الذى تعنيه كلمة الضمير يتسع لمعانى كثيرة لا تدخل فى مفهوم هذه الجارحة التى يقصد بها الرقابة والهيمنة والحكم والمتابعة على السلوك الاجتماعى عزف اللسان العربى المبين عن إطلاقها على هذا المعنى المحدد فى حين

إنها تعطى معنى عاما ،لذلك أعطى هذه الجارحة أسماء أخـرى حتى وقت متأخر، اصطلح فيه على تخصيص هذا المعنى العـام لكلمة " **الضمير** " على هذا التكوين الخاص أو هذه الجارحة المحددة .

فقد ورد مفهوم الضمير فى نصوص قرآنية وفى أحـاديث نبوية باسم " **القلب** "

قـال الله تعـالى فى سـورة البقـرة:

يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

وقد أطلق هنا لفظ القلب على الأداة التى توجد داخـل المنافقين فتجعلهم يخدعون أنفسهم ويظنون انهم يخـادعون الله

والذين آمنوا و لم يشعروا بخطئهم لان الأداة التى من المفـروض أنها سوف تشعر بهذا الخطأ الأخلاقى مريضة عليلة غير صالحـة .

وقال الله تعالى فى سورة البقرة الآية ٢٨٣ايضا:

وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ

وقال رسول الله ﷺ " **استفت قلبك وان أفتـوك وأفتوك** " أخرجة االإمام احمد فى المسند أى استفت ضميرك

وقال رسول الله ﷺ " **إذا أراد الله بعبده خيرا جعل لـه واعظا من قلبه** " أخرجه ابن منصـور الديلمـى فى مسـند الفردوس عن أم سلمة وقال الإمام العراقى " سـنده حسـن،

والواعظ هنا هو الضمير الذى يوجه الإنسان لعمل الخير ويمنعه عن عمل الشر، وتتضح مواصفات الضمير بالمعنى المألوف والتعريف الاصطلاحي المتداول بين المتخصصين وذلك من الحديث الشريف الذى رواه الترمذى وحسنه ورواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **فى القلب لمتان : لمة من الملك وايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد تلك فليعلم انه من الله سبحانه وليحمد الله ، ولمة من العدو وإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير ، فمن وجد ذلك فليستعد بالله من الشيطان الرجيم "**

عن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ فقال: **جئت تسأل عن البر والإثم ، قلت : نعم قال استفت قلبك ،البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه**

القلب و اللاثم ما كان فى النفس وتـــردد فى الصــــدر، وان أفتاك الناس وأفتوك .

رواه الإمامان أحمد بن حنبل والدرامـــى فى مســـنديهما وقال الإمام بن رجب حديث حسن

وورد الضمير أيضا بلفظ " **النفس اللوامة** " التى تكبـــح جماح النفس الأمارة بالسوء وتلوم الإنسان وتوبخه إذا ســاءت أخلاقه أو تصرف تصرفا للشر وليس للخير .

وذلك فى قوله تعالى من سورة القيامة

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾

فإذا وقع الإنسان فى الخطيئة والمعاصى وهى التصرفـــات الأخلاقية المرذولة لامته نفسه وكلما قارف المعـــاصى لامتـــه

نفسه (**أى ضميره**) حتى يتوقف عن المعاصى ويلتزم الطاعات ويتوب على ما فاته، وهنا ينسجم ضميره فى تصرفاته ويطمئن إلى فعل الخيرات فيطلق عليه اسم " **النفس المطمئنة** " كما فى قوله تعالى :

يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

ونجد الآن أننا اقتربنا فى تسلسل حديثنا من الرابطة التى تربط الدين والعبادة بالأخلاق، ويأتى دور الإجابة عن السؤال الثالث ما صلة الدين بالأخلاق .

الدين والأخلاق:

على أى حال من الممكن أن نعرف الدين بأنه الطريـق أو الشريعة أو المنهج الذى يتزله الله تعالى إلى عبادة ليعبدوه طبقـا له، إذ أن العبادة هى غاية الدين بـل والعبـادة هـى غايـة الخلق،ففى كون العبادة هى غاية الخلق ، قال تعالى فى سـورة الذاريات :

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

وفى كون العبادة هى غاية الدين قال تعـالى فى سـورة الكافرين :

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ
أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

وإذا قلنا أن العبادة هى غاية الدين وهى غاية الخلق فما هى غاية العبادة ؟

قد يجيب عن ذلك من يقول: طمعا فى الجنة وطمعا فى رضى الله وخوفا من النار وخوفا من غضب الله، وهذا صحيح، ولكن كيف يتحقق الفوز بالجنة وبرضى الله والنجاة من النار ومن غضب الله عز وجل؟ هل يفعل العبد الخير ليكون أجره الجنة ولأنه لو فعل الشر عوقب بالنار ؟ وبذلك تكون الجنة أجرا" أصحاب الخير كما يعطى الأجير أجره مقابل عمله ؟ ما أظن ذلك يليق بكرم الله، فيعطى الأجر لمن

عمل جزاء عمله كما يدفع الإنسان منا أجر العامل إذا أدى عمله فالكرم اعظم من أن يعطى فى مقابل، والله هو الكريم الرحيم الذى يعطى بغير حساب وهو سبحانه لا يعطى كرمه فى مقابل عمل قال رسول الله ﷺ " **لن يدخل أحدكم عمله الجنة : قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة** " متفق عليه – من حديث أبى هريرة .

ومن ناحية أخرى فإن الأجر لا يعطى إلا عن عمل يحتاج إليه من يعطى، والله عز وجل غنى عن العالمين فلا هو سبحانه منتفع بعمل العابد ولا هو سبحانه متضرر من كفر الكافر .

قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن رب العزة : " **يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم**

كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا."

أخرجه مسلم عن أبي ذر الغفارى رضى الله عنه.

إنما فيض الله تعالى غامر وعطاءة لا حد له فهو الكريم الذى لا حد لكرمه وهو الرحيم الرحمن والغفور الودود . إنما سبحانه هدانا إلى العبادة لا لينتفع بها فيأجرنا عليها ويدخلنا الجنة بها ، وليس هو سبحانه متضرر من تركنا إياها فيغضب علينا فيدخلنا النار، إنما هو سبحانه شرع لنا الدين وأرسل الرسل ليصلح بها أخلاقنا فإن صلحت أخلاقنا كنا فى الوضع المهيأ لتلقى كرم الله ومننه وعطاياه فتلقيناها ونلناها فحصلنا على الجنة ومتعنا بأن زحزحنا عن النار .

لذلك بُعث رسول الله ﷺ لا لكى يجمع اكبر عدد مـــن العابدين لله تعالى لينتفع بعبادهم ولكن بعث لجمع اكبر عـــدد من العابدين ليصلح لهم أخلاقهم فيتعرضوا لرحمه الله وفضلـــه فينالوها .قال رسول الله ﷺ " **إنما بعثت لأتمـــم مكـــارم الأخلاق** " أخرجه مسلم

وفى رواية الأمام مالك "**إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق**"

وفى رواية عن أبى هريرة أخرجها الحاكم فى المســـتدرك "**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** "

ومن هنا كانت الجنة مآل ذوى الأخلاق الحسنة لأنه من حَسُن خلقه تهيأت نفسه فى الوضع المتلقى لفيض الرحمن فعمها الرضى والفضل فدخلت الجنة.

قال: رسول الله ﷺ " **لا يدخل الجنة أحدا إلا بحسن الخلق**"

لذلك وردت عدة أحاديث نبوية شريفة تنص على تعليق دخول الجنة على مجموعة من الأخلاق تفصيلا ، قال رسول الله ﷺ :

" **لا يدخل الجنة قاطع**" أى قاطع رحم - أخرجه الشيخان عن جبير بن مطعم رضى الله عنه .

" **لا يدخل الجنة خِب ولا بخيل ولا منان** " الخِب هو الخبيث الماكر المحتال - اخرجه الترمذى عن أبى بكر رضى الله عنه .

"**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**"- أخرجه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

" **لا يدخل الجنة صاحب مكس** " المكس هو ضريبة أو أتاوة يأخذها شخص عنوة من التجار الغرباء - أخرجه الإمام احمد وأبوا داود والحاكم عن عقبة بن عامر رضى الله عنه .

" **لا يدخل الجنة عاق ولا منان** " أخرجه الإمام مالك فى الموطأ.

" **لا يدخل الجنة قتات** " القتات الذى يتسمع كلام الناس من حيث لا يعلمون - أخرجه الإمام مالك فى الموطأ.

"**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر** " - أخرجه الإمام مالك فى الموطأ.

"**لايدخل الجنة ديوث**" الديوث الذى لا يغار على زوجته وحريمه - أخرجه الإمام مالك فى الموطأ .

"لا يدخل الجنة خِب ولا خائن " - أخرجه الإمام مالك فى الموطأ .

"لا يدخل الجنة جـــواظ ولا جعظـــرى ولا عُتُـــل " **والجواظ:** الأكول البطر وقالوا هو الضجر قليل الصبر وقـــالوا هو الجَمُوع المنوع الذى جمع ومنع **والجعظـــرى:** العظيـــم المستكبر فى نفسه **والعتل:** الجاف الغليظ- أخرجه أبـــو داود عن حارثة بن وهب رضى الله عنه .

كما جاءت الأحاديث تعلق دخول الجنة على حســـن الأخلاق إجمالا ، قال رسول الله ﷺ :

" لا يدخل الجنة أحدا إلا بحسن الخلـــق "- أخرجـــه الشيخان .

" لا يدخل الجنة سيء الملكة " - أخرجه الإمـــــام مالك والترمذى وأبن ماجة عن أبي بكر رضى الله عنه **والمَلَكَـة** بفتح الميم واللام والكاف على وزن الحركة هي الخُلُق.

وكذلك جاء الحديث بتعليق العذاب على سوء الخلق قال رسول الله ﷺ :**"من ساء خلقه عذب نفســـه "** - أخرجـــه الحرث وابن السنى وأبو نعيم عن أبي هريرة رضى الله عنه .

ونسوق لذلك مثلا ولله المثل الأعلى لو أن المطر ينـــهمر من السماء على أهل قرية عطاشى فالذى يخرج منهم من داره حاملا وعاء واسعا يتلقى فيه الماء ســـوف يجمعـــه ويرتـــوى ويسعد، وأما من لم يخرج ليتلقى ، أو خرج وليس معه وعـــاء، أو خرج ومعه وعاء مقلوب ،فانه سوف يظل على عطشـــه ويحرم من فيض السماء ، أى أن الماء منهمر لكن العيب عيب المتلقى الذى لم يهيئ نفسه للاستقبال .

ورسول الله ﷺ هو اكثر خلق الله نوالا مـــن فضـــل الله وعطائه وكرمه ، مما أوصله إلى درجة ما نالها مخلوق سواه وما ذاك إلا لأنه تأهل بالتلقى الحسن من فضل الله لأنه كان كامل الخُلُق فوصفه الله تعالى فقال :

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

وسُئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خُلُق رســـول الله ﷺ فقالت " **كان خلقه القرآن**" - أخرجه مسلم وأبـــو داود و الإمام احمد عن عائشة قال السيوطى حديث صحيح .

ولما كان الخلق يتحكم فيه عاملان كما قلنا : **الضمـــير** الذى يهيمن على الجزء الإرادى منه، **والجهاز العصبى** _ومـــن ثم مجموعة الغدد والهرمونات_ الذى يهيمن على الجزء غـــير الإرادى منه، فأما الجزء الإرادى منه فيتجلى خُلُقا فى الحيـــاء

بمعنى الخجل من ارتكاب الإثم أى التألم الداخلى من إســــاءة الخلق ، قال رسول الله ﷺ " **إذا لم تستحى فاصنع ما شئت** " أخرجه البخارى عن عقبة بن عمرو الأنصارى رضـــــى الله عنه.

أما الجزء الإرادى منه فيتجلى فى الحلم بمعـــنى الســـيطرة على الغضب الذى يحجب سلطان الضمير وحياءه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه : " **أن رجلا قال للنـــبى ﷺ أوصنى ، قال :لا تغضب فردد مرارا ، قال :لا تغضب** "رواه البخارى وفى رواية أخرى قال الرجل " **يا رسول الله علمـــنى علم يدخلنى الجنة ولا تكثر على قال: لا تغضب وكرر ذلك مرارا كل ذلك يقول لا تغضب** ".

الجوانب الحيوية للصوم

قد يبدو من ظاهر الأمر أن الامتناع عن الطعام والشراب فيه إضعاف للحياة لأنهما قوامها، لكن المستقصى لأحوال الأحياء يجد أن الحياة كل شئونها بقدر، لا تطرد فيها الأحوال ولا تتقلب بها الأغيار، فترى النمو يزداد مع العمر ثم يقف، وترى الماء يروى العطشان كما يردى الغَرقان، وترى القليل من الأكسجين يخنق والكثير منه يزهق، ثم إن الكائنات فى ذلك جد مختلفة والأفراد داخل أنواعها غير مأتلفة ، والفرد الواحد له فى كل حال شأن وفى كل شأن ظروف .

فترى من النبات ما يصلحه الرى الغزير: كالأرز، ومن النبات ما يصلحه الرى القليل ، كالفول: وترى النبات الواحد يروى فى زمان فيخضر، ويمنع عنه الماء فى زمان آخر فينضج ويصغر وما يصلح له فى هذا الزمان لا يصلح له فى غيره .

والأمر على هذا النحو لو استطردناه بحثا يتشعب ويتعقد ويصبح الإلمام به من اصعب الصعوبات ، فإذا نزل الشرع الحكيم من لدن العليم الخبير فشرع لنا الصيام فى وقت مخصوص وبكيفية مخصوصة بالمخالفة للمألوف فى طول العام ، كان ذلك نابعا من حكمة يعلمها الله تعالى و لا نعلمها أو ربما إن علمناها لا نحيط بها تماما، وربما وافقت هذه الحكمة فائدة ونفعا ظاهرا ، وربما وافقت ضررا متوقعا على حسب منطق الأشياء ولكن الواقع الحقيقى يأتى بالخير لا بالضرر وبالإصلاح لا بالإفساد .

الصوم والطاقة الحيوية

ولكى نُظهر ما فى الصوم من صلة بقوة الحياة وإكساب الأعضاء والخلايا فى جسم الإنسان طاقة حيوية تزيد عن حالة غير الصائم نسوق ملخصا لمجموعة من التجارب التى أجريت فى هذا الصدد فى طوكيو : وقام بها الدكتور **هيروشى موتوياما** وهو أحد العلماءالبارزين حصل على الدكتوراه فى علم النفس والدكتوراه فى علم وظائف الأعضاء ويعمل مديوا لمعهد علم النفس الدينى بطوكيو، ونشرت نتائج هذه التجارب فى مجلة IMPACT التى تصدر عن مجلة رسالة اليونسكو العدد ١٩ سنة ١٩٧٥ .

حيث تم اختيار أفراد تم تدريبهم لمـــده طويلـــة " عـــدة سنوات" على نوع معين من الرياضة النفسية التي تشبه رياضـــة المتصوفة عندنا وتتمثل فى :

١- الصيام عن الطعام والشراب وكل ما يدخل المعـــدة مع الامتناع عن العملية الجنسية .

٢- التأمل العقلى المستمر لفترات طويلة مـــع تســـكين الجوارح وصرف الحواس عن مشتهياهما .

٣- القيام ببعض التمرينات الرياضية المخصوصة وإنجازها فى برنامج زمنى متناسق بين فترات الرياضة وفترات السكون.

٤- التأمل فيما وراء الطبيعة بمعنى التفكير فى أمور غيبيـــة كالآخرة والقوة الموجدة للطبيعية، والخير والشر ، والأخـــلاق، وغير ذلك.

وأجريت التجارب على هؤلاء الأفراد وعلـــى أفــراد عاديين لم يتم تدريبهم و لم يمارسوا مثل هذه الأمور الأربعـــة وكانت التجارب على النحو التالى :

١- التجربة الأولى :

وتبين منها أن عينة الأشخاص الصائمين يتمتعون بقــدرة كشفية تختلف أشد الاختلاف عن الأشخاص العاديين فـــهم مستطيعون " أفراد منهم وصلت مدة تدريبهم إلى ٢٥ســـنة " يستطيعون أن يتحكموا فى نشاط القلب وسرعة التنفس كمـــا أن هؤلاء الأشخاص يملكون مدى واسعا تماما لنشاط الأعضاء الداخلية وكذلك نشاط الجهاز العصبى الذاتى.

واتضح من التجربة أيضا أن كميـــة الـــدم فى أصـــابع الشخص العادى على سبيل المثال كانت ثابتة طـــوال فـــترة

القياس فى حين أنها كانت فى الأشخاص المدربين تنتظم التغـير فى نظام خاص .

وأن الشخص العادى لا يملك أن يغير من سرعة تنفسه عن ١٦ مرة فى الدقيقة، ولو انه افتعل محاولة إسراع تنفسه اكثر من ذلك أصيب بفقدان الوعى نتيجة لوفرة الأكسجين ، فى حين أن الأشخاص المدربين يمكنهم إسـراع تنفسهم إلى ٢٤٠ مرة فى الدقيقة دون أن يفقدوا الوعى ويؤدى ذلـك إلى زيادة كبيرة فى قوتهم الحيوية ونشاطهم العضوى.

وأن الشخص المدرب يستطيع أن يتحكـم فى أجهزته الداخلية عن طريق تحكمه فى جهازه العصبى الذاتي فى حـين لا يستطيع الشخص العادى ذلك وأجهزته الداخلية تعمل مـن تلقاء نفسها بغير إرادته.

٢- التجربة الثانية:

وضع شخص مدرب فى حجرة خاصة ووضع شخص عادى فى حجرة أخرى وتم عزل الحجرتين بالرصاص عن أى طاقة تأتى من خارجها وطلب من الشخص المدرب أن يركز تفكيره على الشخص العادى الموجود فى الحجرة المجاورة، وتم قياس التغير فى أجهزة الشخص العادى قبل وبعد تأثره بالشخص المدرب وتبين الأتى :

١- حدثت تغيرات واضحة فى التنفس وسرعته فى الشخص العادى أثناء فترة التركيز العقلى بواسطة الشخص المدرب وقد أمكن تفسير ذلك بأن الشخص المدرب يرسل إشعاعا من طاقة الحياة تؤثر على الجهاز العصبى الذاتى لغيره إذا ركز عليه عقله أو له هو نفسه إذا ركز عقله على نفسه،

وتؤثر هذه الطاقة فى الجهاز العصبى الذاتى وتوجهه ليعمل طبقا لإرادة الشخص المدرب.

وقد أمكن تحديد النقاط التى تنبعث منها هذه الأشعة فى الشخص المدرب ووجد أنها عبارة عن بؤرات منتشرة على المحور الطولى للجسم وتسمى " الشاكرا" وتتركز حول الحبل الشوكى وفى الجبهة فوق العينين وما بينهما وعلى قمة الرأس وقد سميت هذه الطاقة الجديدة بالاسم اليابانى "كى" وأمكن تحديد بعض خصائصها واتضح أنها تختلف عن الطاقات المعروفة كأشعة إكس وأشعة الليزر وأشعه جاما وأشعة الضوء حيث أن هذه الإشعات تحجز بالموانع المادية مثل الرصاص، ولذلك سميت بالطاقة المادية أما الطاقة الحيوية التى تنبعث من الأجسام والتى أمكن قياسها فى العديد من الأحياء - منها بعض النباتات - فإنها تنفذ من الرصاص ومن جميع الأجسام المادية.

الصوم وهرمون الأدرينالين :

يوجد فى الجسم غدة تسمى "**الغدة الكظرية**" أو الغدة فوق الكلية أو غدة الأدرينال وتفرز بعض الهرمونات منها هرمون يسمى باسمها **الكظرين** أو **الأدرينالين** ويفرز هذا الهرمون نتيجة لتنبيه عصبى من الجهاز العصبى الذاتى الغير إرادى فى الحالات الخطرة أو المؤدية إلى الموت سواء فى الإنسان أو الحيوان مثل التعرض لكارثة أو سماع صوت انفجار أو صوت وحش أو صوت مخيف أو رؤية شبح أو جسم غريب يتوقع معه الخطر أو رؤية وحش قوى أو عند العراك أو المقاتلة مع الغير أو عند سماع أى ألفاظ يتوقع بعدها مقاتله كالخطب الحماسية عند الجهاد أو كسماع ألفاظ السب أو الشتم من أحد الناس تحسبا للمقاتلة والصراع ويفرز أيضا عند الجوع بيد أن إفرازه يزداد بالتدريج كلما اشتد الجوع .

ويؤدى إفراز هذا الهرمون ووصوله إلى أعضاء الجسم عن طريق الدم إلى مجموعة من التغيرات منها .

سرعة ضربات القلب وسرعة التنفس وقوه العضـــلات واتساع حدقة العين وإنسان العين وانتصاب الشعر وتـــوارد الدم بشده إلى المناطق الهامة كالمخ والوجه والعضلات وقلتـــه عند الأطراف وتقل سيطرة الجـــهاز العصـــبى الإرادى علـــى العضلات والأعضاء فيتصرف الإنسان من غير سيطرة كاملـــة من أرادته فيشتم ويبطش ويضرب ويجرى ويتوعد ويتبـــاهى ويكون فى حالة من التحفز لأقل حركة أو اقل كلمة ويقـــدم دائما المحمل السيئ من الأمر عن المحمل الحسن.

ولذلك كثيرا ما نرى الرجل الجائع إذا دخل بيته كـــان اشد استعدادا للغضب فيثور لأقل سبب ويكون متوترا عجـولا يسب ويشتم وكأن سحابة تغطى عقله فلا يحكم تصرفاتـــه،

لكنه هو نفسه عندما يكون شبعانا يكون هادئ الطبع حسن الخلق على غير حالة وهو جائع.

ونخلص من الذى ذكرناه في الجانب الأخلاقى والجانب الحيوي للصوم بالتأملات التالية :

١- الضمير هو المكون الإنسانى المسئول عن ضبط الأخلاق وتوجيه الإنسان لفعل الخير وتأنيبه أو زجره عن فعل الشر أى هو الأداة التى تدفع الإنسان لحسن الأخلاق.

٢- الجانب الآخر للأخلاق من الناحية العلمية يرجع إلى كبح جماح الغريزة التى تهيج بسبب الهرمونات سواء الجنسية أو غيرها مثل الأدرينالين والتى تسبب سوء الأخلاق وعدم إعمال العقل فى المسائل والأمور، والتصرف معها بطريقة حيوانية.

٣- الضمير يمكن تدريبه لأنه يزيد وينقص ولكن لتدريبه طرق يصعب مدارستها أو تعليمها.

٤- يمكن التحكم فى عمل الأعضاء حتى غير الإرادية وذلك بمجموعة من الرياضات النفسية والعقلية مع الامتناع عن الطعام والشراب وفى هذه الحالة يمكن التحكم فى الإشارات العصبية غير الإرادية التى تنبه الغدد المفرزة وبالتالى يمكن إيقاف إفرازها عند الرغبة فى ذلك ومن ثم تتحسن سلوكيات الإنسان الأخلاقية.

كيف يؤثر الصوم ؟

الصوم يربى الضمير :

الصوم وسيلة فعالة لتحسين أخلاق الإنسان فهو يربى الضمير، ولا يوجد طريق لتدريب الضمير إلا بعبادة الصوم

،على شرط أن يتصرف الإنسان بالصوم كعبادة لا كمجـــرد امتناع عن الطعام الشراب، فعندما يمنع الطبيب أحد المرضـــى من تناول بعض الأطعمة تجده يغالب نفسه ويراودها ليتنـــاول هذا الطعام الممنوع ويحتاج الأمر إلى تدخل أهل المريض أحيانـا لرفع هذه الأطعمة من أمامه مع علمه الأكيد أن مصلحتـــه فى عدم تناولها .

لكن انظر إلى حال المســلم الصـــائم وأمامـــه الطعـــام والشراب وما لذ وطاب وهو فى غاية الجوع والعطش، ومـــع ذلك لا يمس شيء منها، تجده وهو بين الناس مثله وهو خلـى مع نفسه، تجد الشخص فى منـــزل مغلق عليه وحده وأمامـــه أنواع الطعام والشراب لكنه إن نوى الصيام لا يمـــس منـــها شيء .

والصوم وسيلة أودع الله تعالى فيها بقدرته طاقة المنع الجبارة لتنقية الضمير وتدريبه وصقله وإيقاظ المراقبة الغيبية الذاتية فى الإنسان ونود هنا أن نفرق بين حجاب الصوم بهذا المعنى وبين الخوف من الله المعبود ومحاذرة الوقوع فى معصيته بالفطر .

إن الخوف من الله المعبود يتحقق فى جميع الطاعات والابتعاد عن جميع المعاصى وخاصة ما كان منها ذو اثر اجتماعى على الآخرين ، إن الخوف من الله المعبود يتمثل فى الزجر عن الشهادة الزور والنصح وعدم الغش والنصب وعدم التطفيف فى الكيل والميزان وعدم الظلم بأكل المال الحرام بجانب الحرص على الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرها ، لكن حجاب الصيام بما أودع الله فيه من طاقة المنع التى تفوق الانصياع للطاعات تجدها أوضح وأظهر،و قد تأتى مطابقة

للخوف من الله المعبود وقد تأتى- وهذا غالبا- غير مطابقة تماما أو غير مطابقة بالمرة.

فنجد الرجل يصوم ويبلغ منه الجوع والعطش مبلغه فلا يقرب شيئا من الطعام والشراب حتى لو كان وحده فى حجرة مغلقة، ومع ذلك وفى نفس الوقت تجده غير حريص على الصلاة حرصه على الصوم بل ربما تجده يغش فى الميزان والكيل ويكذب ويظلم ويخون الأمانة ويأكل الحرام ، وترى من أمره عجبا فلو كان امتناعه عن الطعام والشراب كعبادة إنما هو مراقبة للخالق المعبود فى كل شىء لكان أولى به من الامتناع عن الطعام والشراب والامتناع عن شهادة الزور أو الغش أو الحرام لكنه يمتنع عن الطعام والشراب لا كمراقبة للخالق المعبود بل خضوعا لسلطان الصوم الذى أودعه الله فى هذه العبادة .

معنى ذلك أن هذا السلطان هو قوة فى ذاتها تربى الضمير ، فلو ترك الحال لمجرد المراقبة الخاصة بالعبادة فى كافة الأمـــور لبقى التقى تقيا والعاصى عاصيا والمذنب مذنبـــا ،لأن الـــذي يعصى الله بالشهادة الكاذبة أو الغش أو أكل الحرام قد فقـــد المراقبة العقلية والقلبية لله وإلا لما فعل ذلك ،ومهما تعظه فإنك لا تستطع أن توقظ فيه ذلك الإحساس إلا إذا كانت هناك قوة خفية تنفذ إليه وتجبره على طاعتها إلى إن يصـــل إلى درجـــة المراقبة لله تعالى بالعبادة.

ومن هنا قال رسول الله ﷺ :

" من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجـــة فى أن يدع طعامه وشرابه "

أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى عن أبـــو هريـــرة رضى الله عنه وقال ﷺ :

" **كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ** " أخرجـــه الدارمى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

الصوم يدرب الشخص على أن يملـــك نفســـه عنـــد الغضب

منافذ سوء الخلق لمن كان ضميره يمنعه عن الوقـــوع فى المعاصى هو الغضب، والغضب يفك تصرف الإنسان وإرادتـــه من سلطان الضمير، ولذلك تجد الشخص لا يقترف الفعـــل الرذيل فلا يشتم ولا يقتل ما بقى هادئ النفس مطمئن البـــال، فيجد ضميره يزجره عن الزنا والكذب والغش والخيانة وغـــير

ذلك، لكنه إذا غضب إذا به كأنه إنسان آخر فإذا به يضرب ويشتم ويسب ويخون ويغدر . وما كان له ذلك إلا من تأثير هرمون الغدة الكظرية الذى يفعل فيه فعل السحر . وهذا الهرمون لا يد للشخص فى دفعه، لذلك كان الانتصار عليه وكبح جماحه من اصعب الأمور وأقساها على الإنسان لذلك قال رسول الله ﷺ:

" **ليس الشديد بالصُرعة ،وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب** " أخرجه الشيخان والامام احمد عن ابى هريرة رضى الله عنه وقال السيوطى حديث صحيح .

وما أظن الإنسان من غير تدريب قادر على أن يملك نفسه عند الغضب، كما انه من غير تدريب غير قادر على صرع الرجال ومصارعتهم ولكن التدريب على ملك النفس عند الغضب هو تدريب على التحكم العصبى الغير إرادى المنبه

للغدة الكظرية . وهذا لا يتأتى كما وضح العلم إلا بالصوم مع التأمل العقلى والرياضة الروحية، ولذلك جاء التوجيه النبـــوى لخطوات هذا التدريب ليستمر الصائم على منهج التدريب لمدة شهر ثم يستأنف حياته ليمارس الحياة مع الجزء الـــــذى نالــه بالتدريب ثم يكرر التدريب فى العام التالى وهكذا . وخطـوات التدريب كما يلى :

يمتنع الإنسان عن الطعام وعن الشراب فينبه هذا الامتناع هرمون الغدة الكظرية فيُفرز قليلا ،وكلما زاد تركيزه فى الـدم كلما شعر الإنسان بالاضطراب أو الغضب والثورة، وهنا يجب أن يدرب رويدا رويدا على كبح جمـــاح هـــذا الاضطـــراب المتدرج ليتعود التغلب عليه قال رسول الله ﷺ :

" **الصيام جنة ، فإذا كان أحدكم صائم فلا يرفث ولا يجهل فإن أحد قاتله أو شاتمه ، فليقل إنى صائم** "-أخرجه الإمام مالك فى الموطأ عن أبي هريرة رضى الله عنه

وفى رواية الإمام مسلم " **فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم** " .

وأخرج الدارمى عن أبى عبيدة بن الجراح قال :" سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **الصوم جنة ما لم يخرقها ـ أى بالغيبة**".

وفى رواية الترمذى " **وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إنى صائم** "

فقد قرن التدريب النبوي الصيام بالرياضة الروحية لذلك تجد شهر الصوم ـــ شهر رمضان ـــ يتميز بعبادات خاصة من عبادات الرياضة الروحية مثل : صلاة التراويح أو صلاة القيام وصلاة التهجد والاعتكاف ويرتبط صوم نهار رمضان بقيام ليله ، قال أبو هريرة رضى الله عنه " **كان رسول الله ﷺ يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة** ".

و قال رسول الله ﷺ " **من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** " - -أخرجه الترمذى.

قال النعمان بن بشير رضى الله عنه :

قمنا مع رسول الله ﷺ فى شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين إلي ثلث الليل الأول ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل ثم قمنا معه ليلة تسع وعشرين

حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح (أى السحور) أخرجه النسائي وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : **كان رســـول الله ﷺ يجاور** (أى يعتكف) وعن الإمام على بـــن أبي طـــالب رضى الله عنه " **كان رسول الله ﷺ يقنت فى النصف الأخـــير من رمضان** أي يدعوا فى صلاته أخرجه مسلم

ونرى من أدب التدريب النبوي أن يتـــدرج التدريـــب الروحى فيكون بسيطا فى أول الشهر ثم يتـــدرج فيكـــون فى الثلث الأخير على أشده فنجد فى هذه الأواخـــر الاعتكـــاف ويكون توقع ليلة القدر التى قال رسول الله ﷺ "التمســـوها فى العشر الأواخر منه " أخرجه البخارى عن ابن عباس .

و قال رسول الله ﷺ " **تحروا ليلة القدر فى الوتر مـــن العشر الأواخر من رمضان**" أخرجه البخارى عـــن عائشـــة

رضى عنها ، وقال ﷺ " **من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"** .

كما أن الصائم يمسك عن شهوة الفرج وهو بذلك يدرب أيضا جهازه العصبى الإرادى على تقبل توجيه الضمير وسلطانه فلا ينبه الغدد الجنسية لإفراز هرموناتها وثورة شهوتها إلا بإذنه فيلتزم جانب الأخلاق ويتحكم فيها قال رسول الله ﷺ:" **يا معشر الشباب من كان يستطيع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء"** أخرجه الدارمى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وقد ثبت بالتجربة أن الصيام فى رمضان ، حتى لعامة الناس – فضلا عن صيام الأتقياء مع القيام والذكر والصلاة وقراءة القرآن – يؤدى إلى تنبيه عصبى فى بادئ الأمر بشكل

تلقائى فيحدث تغير فى تركيز بعض مركبات الـــدم ونواتـــج التمثيل الغذائى وهى المعروفة بحالة الجوع ثم ما يلبث هذا الأمر أن يتحول كلية بعد مرور حوالى أسبوع أو أسبوعين فيعـــود مستوى هذه المركبات فى الدم إلى ما يقرب من حالته الطبيعيـة قبل الصيام .

وعلى ذلك فإن الشخص المتعود على الصوم ـــ الـــذى يتكرر صيامه ـــ لا يناله من جراء الجوع المفاجئ أو العطـــش المفاجئ الذى يمكن أن يتعرض لهما من الأضرار ما يتعرض لـــه الشخص غير المتعود على الصوم.

ففى دراسة عملية قام بها (**ك . ى.مصطفى وآخـــرون سنه ١٩٧٨**)من كلية طب جامعة الكويت و(.**ك.أ. جمعـــة وآخرون سنة ١٩٧٨**) بنفس الكلية تم فيها إجراء تحليـــلات لعينات من الدم أخذت لمجموعة من المسلمين الصائمين قبـــل

رمضان وأثناء شهر رمضان كل يوم وتم تقدير التغيرات التي حدثت خلال الصيام على مدار اليوم وخلال أيام الشهر وبعده واتضح ما يلي :

وجدت هناك تغيرات حدثت فى أول رمضان (كما هو معروف عند حالات العطش أو الجوع أو الاثنين معا) سواء فى تركيب البول وتركز الأملاح به أو نسبة حمض البوليك فى الدم أو الجلسريدات الثلاثية الكلية أو الضغط الأسموزى فى البلازما إلى غير ذلك، ولكن ابتداء من الأسبوع الثالث بدأت هذه التغيرات تقل وتتلاشى حتى قاربت من أن تتساوى مع مستواها قبل الصوم وذلك فى الأسبوع الأخير من رمضان .

استطلاع الهلال

يتناب المسلمون فى بداية ونهاية شهر رمضـــان حـــرج شديد عندما يعلن أول رمضان أو أول أيام عيد الفطر فى بعض الدول الإسلامية ولا يعلن فى البعض الآخر فلا يصوم المسلمون جميعا معا بل تتقدم بعض الدول عن الأخرى بيوم وفيما يلـــى ملخص وخلاصة البحث فى هذا الموضوع .

فى ساحة الفكر حول هذا الموضوع رأيان :

الأول : يقول باختلاف مطالع الأهلـــة مـــن الناحيـــة البادية والفلكية وعلى ذلك يكون لكل (مِصْر) أى بلد ومـلـ

يجاوره توقيتا للصوم حسبما يُرى فيها هلال رمضان أو شـوال بغض النظر عن رؤية المِصْر الأخر فإذا رأى أهل المدينة هــلال رمضان وجب عليهم ومن يجاورهم الصوم وفى نفس الليلـة إذا لم يرى أهل دمشق أو مصر الهلال فعليهم إتمام العدة للشـــهر ثلاثون يوما .

ويستند هذا الرأى إلى خبر يسند إلى الإمام عبد الله بـــن عباس رضى الله عنه انه فى زمن معاوية جاء رجل من الشــــام إلى المدينة فى رمضان فسأله ابن عباس متى صمتم؟ (قال: رأينا الهلال ليلة الجمعة فصمنا ، وكان أهل المدينة قـــد رأوه ليلـــة السبت ومع ذلك لم يقضى أهل المدينة يوما بعد العيد بدلا من هذا اليوم الذى سبق به أهل دمشق وهذا الرأى **وجـــه عنـــد الشافعية** .

الثانى يقول: إذا ثبت الهلال بقطر من الأقطار وجـــــب الصوم على سائر الأقطار لا فرق بين القريب من جهة الثبـوت أو البعيد إذا بلغهم من طريق موجـــــب للصـــوم ولا عـــبرة باختلاف مطلع الهلال فلكيا مطلقا ومعنى ذلك انه لو ثبتـــت رؤية الهلال فى أى بلد من البلاد الإسلامية وجب على جميـــع المسلمين فى جميع البلاد الإسلامية التى تشاركهم بجزء من الليل الصوم مع هلال رمضان والإفطار مع هلال شوال . **وهذا هو رأى جمهور الفقهاء والصحابة ووجه آخر عنـــد الشـــافعية (المزنى والكوفى) وهو الرأى الذى استقر العمل به فى مؤتمـــر علماء المسلمين بمجمع البحوث الإسلامية بالقـــاهرة ســـنة ١٩٦٦ الممثلين لأربعين دولة إسلامية وهو الرأى الذى عليه علماء الأزهر الشريف وفتواه الرسمية.** وأدلتهم فى ذلك كثيرة نسوق منها :

(١) قوله تعالى فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ

والشهادة هنـــــا:

تعنى مطلق العلم بالرؤية أو السماع أو الحســـاب إذا غمـــت الرؤية، ولفظ (**منكم**) عاما لكافة المسلمين فى جميع البلـــدان والمتفق علية فى علم الأصول انه لا يتحول من عموم النص إلى التخصيص إلا بنص ولا نص غير العموم .

(٢) قوله تعالى : وَلِتُكْمِلُوا ٱلْعِدَّةَ

أستدل بها بعض الفقهاء على أ‌‌‍ ‍ن كانوا فى بلد لم يُرى فيها هلال رمضان ثم اكملوا عدة شعبان فتبين لهم فيما بعد أن هناك بلد آخر رأته فى اليوم الذى لم يروه فيه ثم رأى أهل هـذه البلد هلال شوال بعد ٢٩ يوم وجب عليهم إكمـــال العـــدة

ثلاثين بقضاء اليوم الأول الذى افطروه وصامه بلد آخــــر لأن عدة الشهر واحدة وقد ثبت كونه ثلاثون يوما عند بلد فعلـــى البلدان جميعا إكمال العدة بنص الأمر القرآنى .

(٣) قول رسول الله ﷺ : (**إذا رأيتموه فصومــــوا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فأكملوا العــــدة**) والجــــزء الأول من هذا الحديث متواتر رواه أصحاب الصحاح عن عدد من الصحابة وهو عام لكافة المسلمين .

(٤) ورد أصحاب هذا الرأى على أصحاب الرأى الأول الذى أحتج بحديث ابن عباس رضى الله عنه بما يلى :

إن حديث ابن عباس اجتهاد منه غير مرفوع لم يتطــــرق لتخصيص عموم النصوص بل انحصر فى أنه لم يعمل برؤية أهل الشام بالخبر الذى نقل إليه وهذا لا يعنى إن رأيه أن لكل بلــــد

رؤيته الخاصة ولو قصد ذلك صرح به وربما لم يؤخذ برؤية أهل الشام لأنها لم تثبت عنده أخذاً بالرأى الذى يوجب شهادة أثنين على ثبوت الرؤية وربما اجتهد ابن عباس رضى الله عنه بتخصيص أهل المدينة برؤيتهم ويقول الإمام الشوكاني فى ذلك" *ولو سلم صلاح هذا الحديث للتخصيص فينبغى أن يقتصر فيه على حمل النص ربما يكون ذلك لحكمة لا نعقلها إذا أن القاعدة لا قياس على القياس والقياس على النص أولى وربما كان اجتهاده لرفع الحرج لصعوبة اتصال أهل البلدان المتباعدة فى ليلة الرؤية مما يجعل علم المسلمين فى الأقطار المختلفة على رؤية واحدة فى أحد الأقطار غير متيسرة مما يصعب معه الاتفاق على أول الصوم و أول الفطر* "

وعلى ذلك يكون رأى ابن عباس حتى على هذا المحمل إنما هو لرفع الحرج وقد رفع الحرج الآن بتقدم وسائل الاتصال فلا إعمال له.

(٥) نظرا لتيسر وسائل الاتصال اليوم بحيث يمكن نقـــل ثبوت الرؤية فى أى بلد إسلامى إلى كافة بلاد المســلمين والى جميع عموم المسلمين بالإذاعة والتليفزيون والتليفون والتلكــس والفاكس والصحف وانتقال الأشخاص بالطائرات وكل ذلك يتم فى ذات ليلة الرؤية بل فى بضع ثوانى معدودة فيكون مـــن الأولى أن يتفق المسلمون على بداية شهر الصوم ونهايته ويتفقوا على الاحتفال بالمناسبات المختلفة وهى مناسبات إسلامية عامة كالاحتفال بليلة القدر والإسراء والمعراج وليلة النصف وليلـــة العيد وذكرى بدر الكبرى وغيرها ، وكلها حتى ما كان منــها فى غير رمضان سوف تختلف توقيتاتها بين البلاد الإســلامية إذا ما أخذنا فى تحديد الرؤية للأهلة بالرأى الأول.

(٦) إن إجماع علماء المسلمين فى هذا العصر على الأخـذ بتوحيد مطالع الأهلة بين المسلمين فقهيا أمـــر ملــزم لكافـــة المسلمين ، وان إخلال أحد البلاد بهذا الإجماع أمر لا ينفـــق

وأصول الفقه والأعراف والشريعة خاصة إذا لم يكن قد قـــام عليه عندهم دليل جديد أو استندوا فيه الى نص صريح بـــل إن التحول عن الإجماع من دولة أو دولتين ممن أخذ بـــاختلاف المطالع بين البلاد الإسلامية و لم يعمل برؤية هلال رمضـــان فى الدول الأخرى حتى القريبين منها لم يستند أصحابـــه علـــى أساس واحد فى كل مطالع الأهلة ، بل هم يأخذون بهذا الرأى فى شهور وبالرأى الآخر فى شهور أخرى ولو صح عندهم هذا الرأى لوجب الالتزام به لاعتقادهم بصحته .

ففى حين لا يعمل أهل مصر بثبوت رؤية هلال شوال فى البلاد الإسلامية الأخرى فيصلون عيد الفطر طبقا لثبوت الرؤية فى مصر حتى لو خالفت إجماع ما رآه المســـلمون فى البـــلاد الأخرى ، فهم يعملون بثبوت رؤية هلال ذى الحجة فى البـلاد الأخرى فيصلون عيد الأضحى طبقا لرؤيته فى البلاد الأخرى .

وفى حين يعتبرون أن بين العريش وغزه أو بين السلوم ومساعد من المسافة ما يجعل ثبوت الرؤية فى أحدهما لايعمل به في الأخرى لمجرد كون العريش تابعة لدولة مصر و غزة تابعة لدولة فلسطين ، أو أن السلوم تابعة لمصر و مساعد تابعة للجماهيرية الليبية ، فهم يلزمون أهل أسوان بنتيجة رؤية الهلال فى الإسكندرية ويلزمون أهل العريش بنتيجة رؤية الهلال بالسلوم مع فارق المسافة الكبيرة بينهما مع أن المصر تعريفه فقها هو (المدينة العمرانية و ما حولها من التوابع أو المدن أو القرى فى حدود دائرة نصف قطرها ٨٤ كيلوا مترا " ثلاثة فراسخ") و هذا هو رأى أصحاب المذاهب الفقهية لأهل السنة بما فيهم الشافعية أصحاب الرأى باختلاف المطالع.

معرفة بداية شهر رمضان أو نهايته بحسابات الفلك

تستند بعض الدول الإسلامية فى معرفة بداية شهر رمضان وبداية شهر شوال بحسابات الفلك بجانب الرؤية ويقدمون حسابات الفلك فى التصدق عن الرؤية بل يجعلون الرؤية تبعا لها وهذا مخالف لأحكام الإسلام الثابتة بالنصوص القطعية فلا اجتهاد مع النص .

ويبنى أصحاب الرأى القائل بالاعتماد على الفلك اجتهادهم على أساس أن حسابات الفلك العلمية الحالية أدق بكثير من رؤية العين سواء المجردة أو مع استخدام المناظير البسيطة التي يستخدمها أهل الرؤية ويقولون أن علم الفلك علم معترف به قد تأكدت حساباته في كافة المجالات وأمكن بواسطته معرفة مواعيد شروق وغروب الأهلة بدقة عالية ومواعيد شروق وغروب الشمس كذلك بل وأمكن معرفة

ورصد حركة القمر والكواكب بدقة مد هشه وتحديد موعـــد الخسوف والكسوف بالدقيقة والثانية وأجزائها قبل حدوثـــها بسنوات عديدة كما أن الإسلام يعترف بالعلم المبـــنى علـــى القواعد الصحيحة والمنهج العلمي بل ويدعـــو إليـــه ويقـــدم أصحاب هذا الرأى حجتهم من منطلق أن الإســـلام يـــبنى قواعده وأحكامه على العلم اليقيني بعيدا عن الظن والشـــك فكلما كانت الوسيلة إلى معرفة الحكم أو الظاهرة اكثر يقينيـــة كلما كانت اقرب إلى قواعد الإسلام .

إلا أن هذا الرأي في يقينية علم الفلك ودقته التي تفـــوق الرؤية البصرية وفى تمسكه بتقدير الإسلام للعلـــم و للمنـــهج العلمى والاعتراف به ، لم يبعد عن الحقيقة بل حالفه الصـواب لكن أن يزج بهذا الأمر فى تلك المسألة فذلك هو البس والخطأ وذلك لأسباب منها :

١- أن النص قد ورد قاطعا صريحا فى قوله صلى الله عليه وسلم (**صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته**)

وقوله ﷺ(**إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا**)

وقوله ﷺ(**لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه**)

وهذه أحاديث صحيحة يقطع علماء الحديث بصحتها والمعنى فيها يصل إلى حكم المتواتر حيث رواه عدد من الصحابة منهم ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس والبراء وغيرهم وخرجه البخارى ومسلم والنسائى والطبرانى وأبو داود ومالك والترمذى واحمد والبيهقى وغيرهم من طرق عديدة صحيحة السند وعليه كان عمل الصحابة جميعا والتابعين وتابعيهم حتى

هذا العصر وعليه إجماع علماء السلف والخلف حتى فى العصور التى نبغ فيها العرب فى الفلك وبنوا المراصد . مع العلم بأن علم الفلك علم عربى الأصل والمنشأ برع فيه العرب والمسلمون منذ فجر الحضارة الإسلامية و لم يؤخذ على المسلمين فى أى عصر من تلك العصور أنه تم الاستعانة بحسابات الفلك كبديل للرؤية أو مساند لها و لم يمزج أحد منهم بين حسابات الفلك ورؤية هلال رمضان أو شوال .

٢-إن الحكمة من العبادة هى طاعة الله تعالى الذى شرعها وليس إصابة أو مطابقة الحقيقة العلمية أو الكونية وهذا لا يقدح فى دعوة الإسلام إلى العلم بما فيه العلم الكونى لتحقيق مصالح دنيوية أو فوائد معيشية لخير الإنسانية لكن ليس لتحقيق أو اختبار التكليفات العبادية المحددة بنصوص قطعية فى أدائها وأحكامها وأركانها . فما كان الغرض من استطلاع رؤية هلال رمضان إلا معرفة دخول وقت فريضة الصوم بالحد

المعلوم من قدرة البشر فى كل العصور على تحقيـــق حلولـه كيفما رسم الشرع لهم ذلك الطريق وليس الغرض هو القطـع بإصابة الحقيقة من كون أول يوم صامه الناس هو بـالقطع أول أيام رمضان .

فإذ كانت السماء ملبدة بالغيوم فلم يتمكن الناس مـن رؤية الهلال أتموا عدة شعبان ثلاثين يوما ثم صاموا فى اليـوم التالى مع إن احتمال إن يكون ذلك اليوم هو الثانى من رمضان وان اليوم الذى أكملوه من شعبان هو أول أيام رمضان .

إلا أن الشرع جعل كل عبادة الصوم ذلك الوقت المحـدد بتلك الكيفية المحددة طبقا لنص الحديث سالف الذكر سـواء وافق ذلك كل رمضان أو بعضه على وجـه الحقيقـة طبقـا لحسابات الفلك لذلك قال صلى الله عليه وسلم : **الصوم يـوم تصومون والفطر يوم تفطرون والأضحى يوم توضحـون "**

أخرجه الترمذى وأبو داود عن أبى هريرة وحسنه الترمذى وغيرة وقال الخطابى معنى الحديث "*أن الخطأ موضوع عن الناس . فلو إن قوما اجتهدوا فلم يرو الهلال إلا بعد الثلاثين فلم يفطرون حتى استوفوا العدد ثم ثبت عندهم إن الشهر تسعا وعشرين فان صومهم وفطرهم صحيح ولا شىء عليهم من وزر أو عيب*).

ولعل ابن عباس فى عدم عمله برؤية أهل الشام كان استناده إلى هذا الحديث لا إلى اختلاف المطالع فلو وصل إليه العلم بثبوت الرؤية فى الشام فى ذات اليوم " الجمعة " لصام وما انتظر إلى اليوم التالى.

٣-وعلى فرض الأخذ بمعطيات حسابات الفلك فما معنى إن يكون جنبا إلى جنب مع استطلاع رؤية الهلال بالعين أو المناظير .إن هذا الخلط إنما هو عبث يربأ عنه العقل والعلم

ويربأ عنه الإسلام فلنفرض أن حسابات الفلـــك حـــددت أن هلال رمضان من هذا العام سوف يبقى بعد غروب الشـــمس بدقيقتين وذلك سوف يكون معلوما تماما من الآن أو علـــى الأقل من قبل الاستطلاع المنتظر فما جدوى الاستطلاع أذن ؟ ولو تم الاستطلاع فلم يره أحد ، فهل يؤخـــذ بالاســـتطلاع ويكذب حساب الفلك ؟ أم يؤخذ بحساب الفلك و يكـــذب الاستطلاع ؟ فإذا أسقطنا حساب الفلك فهذا هـــو رأينـــا و رأى الجماعـــة و رأى العقـــل الســـليم ، و إذا أســـقطنا الاستطلاع أذن فلا جدوى من عملية الاستطلاع أساسا مـــا دامت نتيجتها محسوبة و محسومة مقدما .

وإذا كان الفلك لن يختلف مع الرؤية قط كان إدخـــال الفلك فى الموضوع بدعة وتزيد وعبث لا جدوى منه إذ تكفى الرؤية المنصوص عليها شرعا وهى كافيه ما دام الفلك لـــن يضيف إليها جديدا .

أما إذا اختلفا ،، فإذا أخذنا بالرؤية وتركنا حسـابات الفلك بعد أن أدخلناها فى الأمر وأعلنا عن قبولنا لها ،كـان ذلك إهدار لقيمة العلم التى يحرص الإسلام على تأصيلها ورفع قدرها وكان إدخال علم الفلك فى الموضوع لا جدوى منـه مادمنا سوف نطرحه جانبا عند تعارضه مع الرؤية وستغنى عنه الرؤية عندما تتفق معه .

وإذا أخذنا بالحساب الفلكى وأهملنا نتيجة الاستطلاع بالرؤية كان ذلك مخالفا لنص الأحاديث الصحيحة المتواتـرة القطعية وكان من باب أولى إلغاء الاستطلاع أصلا إذا كـانت نتيجته أيا كانت سوف تطرح جانبا ويؤخذ بقول حسـابات الفلك المعلومة مقدما .

٤- وعلى فرض أننا أخذنا بحسـابات علـم الفلـك وتشككنا فى الرؤية الشخصية وأقمنا حساباتنا فى تحديـد أول

الصوم وأول الفطر وغيرها ، على أساسه ،، فكيف نحقـــق ذلك عمليا ؟!. فالمعلوم أن الكرة الأرضية تدور من الغـــرب إلى الشرق و بالتالى يدور معها البشر القابعون على ظـــهرها ويدور معهم خط الشعاع الواصل من كل جرم سماوى وعـين الراصد له على الأرض ونستطيع بحسابات علم الفلك الدقيقـة أن نعرف متى يغيب الجرم السماوى (هنا القمر والشـــمس) عن عين الناظر إليه من الأرض عند نقطة معينة وان هذا الزمـن يتحد لكل الواقفين على خط تخيلى كنتورى يتحدد بطابور من النقط على نصف محيط الكرة الأرضية ، وكل نقطة محـــدده ببعدين الأول القوس المحيطى لدرجة يصنعها نصـــف القطـر الواصل من مركز الأرض والنقطة مع نصف القطر الذى يقـــع القمر أو تقع الشمس على امتداده وهو ما يعرف بخط الطـول والبعد الثاني هو طول نصف القطر هذا ، وهو مـــا يعــرف بالارتفاع عن سطح البحر .

وخلاصة ذلك أن حسابات الفلك يمكنها أن تحدد بالضبط خطا فاصلا يمر بمجموعة من البلدان والقرى أو بينها يكون الهلال باقياً بعد غروب الشمس فى الجانب الغربى منه غائبا قبل غروب الشمس فى الجانب الشرقى منه ، فإذا أخذنا بدقة حسابات الفلك كان على المسلمين المقيمين غرب هذا الخط أن يصوموا وعلى المقيمين شرق هذا الخط أن يكملوا العدة ، وقد يصادف فى بعض السنوات أن يمر هذا الخط بمدينة فيقسمها إلى جزأين وبناء على تلك الحسابات الدقيقة يكون هلال رمضان قد ثبت فلكيا للسكان المقيمين فى أحد أحياء المدينة و لم يثبت فلكيا فى الأحياء الأخرى و أخذا بدقة حساب الفلك على أصحاب هذا الرأى أن يفرضوا الصوم على نصف المدينة و الإفطار على نصفها الآخر ، فهل هذا معقول ؟!.

وهل هذا الخط – مع تسليمنا علميا بوجوده – هل يمكن تحديده ؟ إن هذا الخط يحتاج من الوقت و الجهد و المال

لتحديده مالا يخطر على بال فى كل عام مرة مع بداية رمضـان ومرة مع بداية شوال ومرة مع بداية ذى الحجة على الأقل وما أظنهم يتمكنون من عمل ذلك خلال ثلاثين يوما حتى لو بذلوا فى سبيله كل طاقتهم وأموالهم .

أذن التصرف العملى الذى يمكن أن يتبعـه الفلكيـون ليساعدونا به فى تحديد بداية الشهر إنما هو تقدير تقريبى لمنطقة ما على ارتفاع ما من سطح البحر و تعميم حركة الرصد فيـها خطأ على بقية البقاع التابعة للحدود السياسية للدولة ، مع أن ذلك غير صحيح علميا ولا يعترف العلم بالحدود السياسـية ، و لا تتغير نظم الكون تبعا لتقسيمات الخرائط علـى موائـد الساسة .

فمجرد الأخذ بحسابات الفلك عن منطقة بعينيـها دون الأخرى أو عند نقطة معينه دون غيرها لنضعها بجانب الرؤيـة

أو بديلا عنها إنما هو مجرد عبث وسفسطة لأنه من الجانب الديني النصوص لا تقره ومن الجانب العلمي هو عمل ناقص مخل غير صحيح .

و مادمنا سوف نأخذ بالتقريب و عدم الدقة التي لجأنا للفلك من أجلها ،فالرجوع إلى الرؤية التي رسمها الشرع أولى.

معنى المشتركين في جزء من الليل

إذا تحققت الرؤية في أي بلد أو مدينة إسلامية أو غير إسلامية تثبت لدى المسلمين المقيمين في كافة البقاع المشتركة معهم في جزء من الليل ومعنى المشتركين في جزء من الليل قد يبدوا غامضا أو من الصعب الاستدلال عليه وهو قيد شكلي يعتبر تحصيل حاصل لأننا مثلا لو استطلعنا هلال رمضان في مصر فثبتت لنا رؤيته بعد غروب شمس يوم السبت (٢٠ يناير

مثلا) ، أذن سيبدأ الصوم لجميع مسلمى العالم أيا كان موقعهم ابتداء من الفجر التالى لهذه الحظه بالنسبة لهم ، فسكان مصر يصومون ابتداء من فجر يوم الأحد ٢١ يناير وهو أول رمضان وسكان الجزء الشرقى من العالم سيكونون فى الليل ويبدأون صومهم من الفجر ، حتى تكون البقعة من العالم التى يكون عندها هذا الاستطلاع قد تم بعد الفجر ، إذن فقد خرج الليل من عندهم ساعة الرؤية فلا صوم بأثر رجعى فيصومون ابتداء من الفجر التالى للحظة ثبوت الرؤية .

وسكان الجزء الغربى من العالم سيكونون بالنهار ، كأن يكون بعضهم قبيل الغروب بساعة أو ساعتين أو عند الظهر وهؤلاء سوف يدخل عليهم الليل وقد ثبتت الرؤية فيصومون ابتداء من الفجر التالى مباشرة .

ما معنى إذا غم عليكم فاكملوا العدة ؟

إذا رؤى الهلال فى أى بقعة رؤية شرعية ثبت به الصــوم أو الفطر حسب الأحوال ووجب تبليغه إلى كافة المســلمين فى جميع بقاع الأرض ووجب العمل به وعلى المســلمين جميعــا استطلاع وطلب رؤية الهلال فى الوقت المناسب بعد غــروب شمس ٢٩ من الشهر فى كل منطقة حتى يروه أو يعلموا بثبوت رؤيته فى مكان أخر .

فإذا استطلع نفر من المسلمين فى كل منطقة أو دولــة أو بلد إسلامي الهلال فرأى أى منهم الهلال ثبتت به الرؤية عنــد الجميع وإذا لم يره أى واحد منهم فى جميع البلدان مع كــون السماء كانت صحوا فى جميع نقاط الاستطلاع كــان ذلــك دليل على عدم ثبوت الرؤية ويكون الشهر السابق ثلاثون يوما أما إذا كانت السماء ملبدة بالغيوم فى جميع المناطق والبلــدان

الإسلامية لحظة رصد كل منهم فلم يتمكن أى منهم من رؤيـة الهلال مع احتمال كونه فى الحقيقة موجـود أو إذا لم تثبـت رؤيته فى المناطق التى كانت سماؤها صحوا ولكـن المنـاطق الأخرى كانت ملبدة بالغيوم فحال ذلك دون تمكنـهم مـن رؤيته أيضا فعلى المسلمين جميعا أن يكملوا عدة الشهر السـابق ثلاثون يوما بغض النظر عن حكم حسابات الفلك حتى ولـو قطعت بوجود الهلال فى المناطق الملبدة بالغيوم حسابيا .

ومثال ذلك ليس جديدا على المسلمين فى هذا العصر بـل مثله قد قابل الفقهاء من قبل فلو كانت السماء ملبدة بـالغيوم فلم يتمكن الناس من رؤية الهلال فاكملوا العدة للشهر السابق ثم ظهر لهم فى اليوم التالى أن الهلال كبير و هو ابن يومـين ، فالدين لا يأمرهم برد قرارهم الأول وإعادة هذا اليوم ، بـل يأمرهم بالمضى فى الصوم أو الفطر ولا يعتد بحقيقة بداية الشهر مادام الناس قد اجتهدوا فى استطلاع الهلال فى موعده وأعياهم

الأمر ، وذلك طبقا لما رواه الإمام مسلم فى صحيحة عن ابـــن عباس من حديث ابن البحترى عندما استطلعوا الهـــلال فغـــم عليهم فرأوه فى الليلة التالية ابن ليلتين فسألوا ابن عباس رضـــى الله عنه فقال : قال رسول الله ﷺ " **إن الله قد أمده لرؤيتـــه فهو لليلة رأيتموه**".



فقه الصوم

معنى الصيام

معنى الصوم فى اللغة مطلق الإمساك عن الشيء ، فـــإذا امسك شخص عن الكلام أو الطعام فهو لغة " صائم " ومـــن ذلك قوله تعالى :

إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

ومعناها فى اصطلاح الشرع هو **"الإمساك عن شـــهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنيـــة "** ويدخل فى نطاق ذلك : الإمساك عن إدخال شئ - ســـواء

كان مما يؤكل أو غيره - عمدا أو خطأ إلى بطنه من الفــم أو الأنف أو من جراحة أو غيرها أو إدخاله إلى ماله حكم البطن، وكذلك الإمساك عن شهوة الفرج شاملة الجماع أو الإنــزال بعبث .

أقسام الصوم

يقسم الفقهاء الصوم تبعا لحكمه إلى أقسام كما يلى :

١-الصوم المفروض

وهو ما يثاب فاعله ويأثم تاركه إلا بعذر شرعى ويكفــر منكره ويعتبر تاركه فاسقا وهو أنواع :

(أ) صوم **شهر رمضان** أدآءاً وقضاءاً

(ب) **صوم الكفارات** : مثل كفارة اليمـــين وكفـــارة الظهار وكفارة الفطر العمد فى رمضان من غير عذر

(ج) **صوم الفدية** وهو لجبر عدم إتمام بعـــض أعمـــال الحج

٢ـ الصوم الواجب

وهو ما يثاب فاعله ويأثم تاركه ولكن لا يكفر منكـــره وهو أنواع :

(أ) **الصوم المنذور** : كأن ينذر الشخص إن قضيت لـــه حاجة كذا يصوم يوما كذا أو يصوم شهر كذا .

(ب)قضاء ما افسد من صوم السنة والمندوب والنفل

٣ـ الصوم السنة المؤكدة

وهو ما يثاب فاعلة ولا يأثم تاركه وقد تأكدت ســــنته حيث داوم رسول الله ﷺ على فعله و لم يتركه، أو أمر به أمراً مؤكداً وهو ما لا خلاف بين الفقهاء على مطلق كونها ســـنة وهى :

(أ) صوم يوم عاشوراء مع ضم التاسع إليها

٤ـ الصوم السنة

وهو مثل السابقة إلا أن الفقهاء بعضهم يرى انه سُـــنة وبعضهم يرى أنها مندوبه وهى :

(أ)صيام ستة أيام من شوال

(ب)صيام يوم عرفه لغير الحاج

(ج) صيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشـــر مـــن كـــــل شـــــهر عـــربى وتســـمى" الأيـــام البِيض "

٥ـ الصوم المندوب أو المستحب

وهو اقل درجه من السنة وفعله للقادر أولى من تركه

(أ)صيام التسعة أيام الأولى من ذى الحجة

(ب) صيام اكثر أيام شهر المحرم

(ج) صيام اكثر أيام شهر شعبان

(د) صيام الأشهر الحرم

(هـ) صيام يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع

(و) صيام يوم وترك يوم و يسمى صوم داود عليه السلام

٦ـ الصوم النفل أو المباح

وهو صوم يكون كيفما شاء الإنسان على ألا يكون مكروها ولا محرما.

٧ـ الصوم المكروه

وهو ما كان تركه أولى ولا أجر لفاعله وهو :

(أ) صوم **يوم الشك** إذا كان نذراً أو على نية أنه لا يعلم إن كان من رمضان أو من شعبان وتزول الكراهية إذا كان ذلك موافق صومه المعتاد.

(ب)صوم **يوم الجمعة** منفردا إلا إن كان نذرا أو ضمن كفارة أو قضاءاً

(ج) صوم **يوم عاشوراء** منفردا عن التاسع

(د) صوم **يوم السبت** منفردا إلا إن كان نذرا أو ضمن كفارة أو قضاءاً

(هـ) صوم **يوم عيد** من أعياد الناس تشبه التعظيم كعيد شم النسيم أو رأس السنة أو عيد النصر أو عيد المولد النبوى وأمثالها .

(و) صوم **الوصال** وهو ألا يفطر بعد الغروب ويصل صومه باليوم التالى .

(ز) صوم **يوم عرفه** للحجاج وكذلك يوم التروية

(ح) صوم **الضيف** بدون إذن رب البيت

(ط) صوم **الدهر**

(ى) صوم **المرأة** نفلا بغير إذن زوجها مطلقـــا **(عنـــد الأحناف)**

(ك) صوم **المرأة** نفلا بغير إذن زوجها إذا كــــان غـــير حاضر كأن كان مسافراً **(عند الجمهور)**

(ل) صوم **يوم أو يومين قبل رمضان (لغير المالكية)**

(م) صوم **النصف الثانى من شعبان** إلا أن يصله بما قبله

(ن) صوم **المسافر** إذا أجهده الصوم**(عند الأحناف)**

(ص) صوم **المريض والحامل والرضع والشيخ الكبـــير** إذا خافوا المشقة الشديدة

(ع) إفراد شهر **رجب** بالصوم (**عند الحنابلة**)

٨ـ الصوم الحرام

وهو ما يأثم فاعله ويكون صوما باطلا حتى لـــو كـــان قضاءاً أو كفارة.

(أ) صوم يوم عيد الفطر أو عيد الأضحى أو أيام التشريق (وهى ثلاثة أيام بعد عيد الأضحى)

(ب) صوم يوم الشك بنيه انه من رمضان

(ج) صيام المرأة نفلا بغير أذن زوجها الحاضر

(د) صيام المريض أو الحامل أو الشيخ الكبير أو المسـافر إذا خاف على نفسه الهلاك

(هـ) صوم الوصال (**عند المالكية**)

(و) صوم المرأة الحائض أو النفساء

عزائم الصوم ورخصه

الصيام واجب الأداء على الفور على كافة العبـاد إلا فى الحالات التالية فنتناولها بإيجاز كما يلى :

١- ***الكافر*** : غير مطالب حال كفره ولا يصح صيامـه إن صام وهو كافر وان كان يطالب به فى الآخرة ويحسـاب

عليه ، فلو اسلم الكافر في خلال شهر رمضان فعليـــه صيـــام الجزء الباقى ولا يطالب بقضاء الجزء الذى مضى من الشهر.

٢- *المرتد* : هو المطالب بالصوم لكن لا يصح منه حـــال كفره فإن عاد إلى الإسلام خلال شهر رمضان فعليـــه صيـــام الجزء الباقى ثم قضاء الجزء الذى مضى حال ارتداده حتى لـــو كان قد صامه وهو مرتد

٣- *المسلم غير العاقل لمرض يفقـــده التميـــيز* : غـــير مطالب بالصوم ولا يصح صومه حالة غياب عقلة فإن فاق فى رمضان أمضى الجزء الباقى ويقضى الجزء الماضى لأنه مخـــاطب به غير مطالب لعموم قوله تعالى:

فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ

وقد شهد جزء منه فعليه صومه فوجب عليه القضاء ، أما إذا أفاق بعد انتهاء رمضان فليس علية قضاء لأنه لم يشـــهده وهو مطالب. هذا رأى الأحناف والمالكية ووجـــه للشـــافعية وعند الحنابلة لا يقضى الجزء الذى فاته مطلقا لكـــن يقضـــى اليوم الذى فاق فيه إن كان فى رمضان.

٤ - *السكران* : مطالب بالصوم ولا يصح صومه حـــال سكره إن استغرق سكره طوال النهار، أما إذا كان سكره جزء من النهار فقط فيصح صومه ولا يقضى واشترط المالكية لعـــدم القضاء وصحة الصوم أن يفيق أكثر من نصف النهار.

٥ - *المغمى عليه* : مثل حكم غير العاقل عند الأحنـــاف ومثل حكم السكران عند الباقين

٦- *النائم* : إذا نام الشخص قبل الفجر بعد أن عقد النية وظل نائما حتى الغروب صح صومه ولا قضاء عليه أما إذا نـام لمرض وبدا نومه قبل دخول رمضان كان حكمه حكم غـير العاقل الذى سبق شرحه.

٧- *الطفل غير المميز* : غير مطالب بالصوم وصومه غـير صحيح وسن التمييز ست سنوات عند الطفل العادى وقد يزيد عند بعض الأطفال أحيانا ويكره صوم الأطفال لأنه يؤثر علـى صحتهم ومعدل نموهم البدنى والعقلى .

٨- *الصبى المميز غير البالغ* (وهو ما كان سـنه بـين السادسة والبلوغ) غير مطالب بالصوم لكنـه مخـاطب بـه وصومه صحيح فإن صام صح صومه وإن لم يصم لا يحاسـب لكن إذا كان يطيق الصوم وجب على والده أن يـأمره بـه ليعتاده ويتأدب بأدب الصيام مثله فى ذلك مثل الصلاة فـإن لم

يفعل فلا إثم عليه ولا على والده وان بلغ الصبى أثناء رمضـــان وجب عليه إكمال اليوم بالامتناع عن المفطـــرات ثم إكمـــال صوم رمضان وقضاء ما فاته من ذلك الشهر إن كان لم يصمه أما إذا كان قد صامه وهو غير بالغ فلا قضاء عليه وفى جميـــع الأحوال لا يقضى ما فات من شهور رمضان السابقة .

٩- *الفتاة المميزة غير البالغة إذا بلغت فى رمضـــان* : حكمها قبل البلوغ مثل الصبى غير البالغ فـــإذا حـــاضت فى رمضان امتنعت عن الصوم حتى تطهر ثم تصوم ما بقى مـــن رمضان بعد الطهر ثم تقضى.

١٠- *الحائض والنفساء* : ليســـت مطالبـــة بـــالصوم وصومها غير صحيح وصومها حرام فى رمضان وغيره ســـواء كان صومها فرض أو واجب أو تطوع وتقضى ما فاتها مـــن رمضان أيام حيضها أو نفاسها ولا تقضى ما فاتها مـــن غـــير

رمضان وإذا حاضت المرأة أو ولدت فى يوم صومها سواء كان من رمضان أو غيره) فسد صومها ووجب عليها القضاء ولو جرعة ماء أو شق تمرة فإن لم تستطع فبنية الإفطار ثم تقضى هذا اليوم بعد الطهر وتوفر شروط القضاء .

١١- ***المريض مرضا يرجى شفاؤه*** : ليس مطالب بالصوم ولا بالأداء ويصح صومه مع الكراهية فإن كان صومه يؤدى إلى هلاكه صح صومه مع الحرمة فإن صام فلا يقضى وان افطر فلا إثم عليه ويقضى بعد شفائه ولا عبرة لنوع المرض خطيرا كان أم لا ولا عبرة لكونه فى حاجة إلى تعاطى الأدوية أم لا ولا عبرة لكون المرض فى أعضائه أو عينه أو عظامه أو غيرها لان النص القرآني يفيد عموم المرض من غير تخصيص قال الله تعالى:

وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ

١٢ - ***المريض مرض لا يرجى شفاؤه*** : ويكون له نفس الحكم حتى لو شهد الأطباء بعدم شفاؤه خلال العام حتى رمضان المقبل مع إمكان شفاؤه بعد ذلك، وهو غير مطالب بالأداء وغير مطالب بالصوم، فإن صام صح صومه مع الكراهة إلا إذا كان الصوم لا يؤثر على مرضه ولا على صحته ففى هذه الحالة يستحب صومه ولا قضاء عليه ،فإذا لم يصم فعليه الفدية وهى إطعام مسكين طعاما متوسط النوعية إفطارا وسحورا وما يلزمها أو التصدق بقيمة ذلك وهو ما مقداره قيمة زكاة الفطر فى نفس العام عن الفرد الواحد عن كل يوم يفطره من رمضان وله أن يخرجها أولاً بأول كل يوم فإن جمعها إلى العشر الأواخر منه وأخرجها قبل العيد صحت وأجزأته ، فإن أخرها إلى ما بعد رمضان صحت مع إثم التأخير

إلا إذا أخرها مظنة أن يقدر على القضاء صوما، فإن لم يخرجها بدون نية القضاء حتى انتهى رمضان فشفى فصام أو صام مع مرضه وأضره هذا الصوم فلا يسقط حق الفقراء في الفدية لأنها انعقدت بانتهاء رمضان دينا ماليا عليه فلا تستبدل ولا تسقط إلا بالأداء .

١٣- *غير القادر على الصوم لكبره:* وهو مطالب بالأداء غير مطالب بالصوم وله أن يخرج فدية كما في الحالة السابقة لقوله تعالى :

وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ

وإن صام صح صومه و سقطت عنه الفدية ولا قضاء عليه وكان ذلك أولى له لقوله تعالى :

وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ

لكن إذا لم يصم بسبب عدم قدرته لكبره وليس لعـــذر آخر و لم يخرج الفدية حتى انقضى رمضان فليس عليه القضـاء صوما بل يجب عليه إخراج الفدية مع إثم التأخير إلا إذا كــان قد اعتاد الصوم مع كبره فمرض خلال رمضان فـأفطر بنيـة القضاء بعد الشفاء فحكمه حكم الحالة رقم (١١) الســابق شرحها .

١٤ – المسافر : السفر المقصود به فى هذا المجال هو سفر القصر ومقداره ٨٤ كم (أربعة وثمانون كيلو مترا) وللمســافر حال السفر أن يفطر ويقضى بعد رمضان وذلك أولى ولــه أن يصوم وصومه صحيح ولا يقضى فإذا كان الصوم مجهدا له مع السفر كان صومه مع السفر مكروها ولكنه صحيحــا ، وفى جميع الأحوال يمتنع عن تناول الطعام والشــراب والمفطـرات

بمجرد حلوله فى المدينة أو القرية سواء الذاهب إليها أصـــلا أو التى ينوى البقاء فيها بعض الوقت أثناء سفره .

فإذا سافر شخص مثلا من مدينة القاهرة إلى مدينة طنطـا فله أن يفطر بمجرد تركه لمدينة القاهرة بأن يتنــاول الطعــام والشراب أثناء رحلته حتى يصل إلى طنطا ، فإذا وصل إليـــها امتنع عن الطعام والشراب حتى عودته أو حــتى الغــروب ثم يقضى اليوم بعد رمضان فإذا عاد فى نفس اليوم فله أن يطعـــم ويشرب فى الطريق فإذا وصل لمدينة القاهرة امتنع عن الطعــام والشراب حتى الغروب ثم يقضى اليـــوم ولا عـــبره بوســيلة الانتقال سواء كانت مريحة أم غير مريحة سريعة أم بطيئة وذلك لعموم النص القرآنى فى قوله تعالى:

وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ

فلو كان سفره بالقطار المكيف أو بالطائرة فحكمه حكم من كان سفره ماشيا أو على ظهر جمل ، بل إن حظ المسافر بالقطار أو بالطائرة من الإفطار اقل من حظ المسافر ماشيا أو على ظهر جمل ، لان الأول يقضى فى سفرة ساعة يتناول خلالها شيئا يسيرا إذا افطر ثم يكمل الإمساك بقية اليوم ثم يقضيه ، أما الثانى فإنه فى سفره يستغرق طوال النهار فيأكل ويشرب طوال النهار ولا يمسك ثم يقضى.

١٥-*الحامل والمرضع* : مثل حكم المريض الذى يرجى شفاؤه أو لا يرجى شفاؤه حسب حالتها ومدة حملها .

حكم النية فى الصيام

النية ركن من أركان الصوم عند الشافعية وشرط لصحته عند جمهور الفقهاء .

وأقل النية فى صوم رمضان علم الإنسان بدخول شهر رمضان وعزمه على صيامه ولا يشترط التلفظ بها كل يوم وإن كان يستحب ذلك ويسن النطق بها فى أول أيام رمضان كقولك اللهم نويت صوم شهر رمضان أو مثل ذلك ثم الدعاء كقولك اللهم أقدرنا عليه ويسرنا له ثم الاستغفار والتوبة من الذنوب وطلب العفو والعافية أو مثل ذلك، ولا يصح الصوم من غير نية، فلو نام شخص قبل فجر أول أيام رمضان وهو لا يعلم أن غدا أول رمضان واستيقظ ظهرا وعلم بأن هذا أول أيام رمضان يمتنع عن الطعام والشراب حتى الغروب ويقضى ذلك اليوم لأن صومه غير صحيح لعدم توفر

شرط النية مستغرقة طول الوقت ويشترط أن تستمر النية طوال النهار فلو صام شخص أول أيام رمضان بعد ثبـــوت الرؤيـــة عنده وعند الظهر أخبره شخص أنه لم تثبت الرؤية فتحلل مـــن نيته فى الصوم ولكنه لم يتناول شيء وبعد دقائق تــــأكد لـــه كذب من أخبره وصدق ثبوت الرؤية وجب علية قضاء اليـــوم لعدم توفر شروط استمرار النية طوال اليوم ، ومثال ذلك لـــو أن شخصا صائما (صوم رمضان أو غيرة) غضب لأمر فعـزم على الإفطار نكاية فيمن غضب منه وبعد قليـــل وبـــدون أن يأكل شيئا استعاد هدوءه وأراد أن يستمر فى صومه فلا يصـــح وعليه القضاء لفقده شرط استمرار النية طوال وقت الصوم .

لكن استثنى الأحناف شرط استغراق النية طـــوال نهـــار الصوم فى صوم التطوع على أن يعقد الصائم نيته قبل منتصـــف النهار فلو أن شخصا استيقظ من نومه على غير نية الصـــوم فى غير رمضان و لم يتناول مفطرا وعند الظهر أو قبلـــه نـــوى أن

يجعل اليوم صوما تطوعا سواء وافق هذا اليـــوم عادتـــه أم لا يصح صومه أما إذا نوى بعد الظهر فلا يصح صومه .

مالا يعد عذر للإفطار

- الأعمال المجهدة كعمل الفران صيفا والصياد شـتاء وعمال البناء والحمالون وغيرهم.

- المذاكرة وتلقى الدروس

- العادات التي لا تناسب أحوال الصوم كمن اعتـاد عدم السحور أو من اعتاد عدم الاستيقاظ ليلاً أو من اعتـاد التدخين أو من اعتاد بعض المكيفات .

- السفر مسافة أقل من ٨٤ كيلو متر .

مبطلات الصيام

ما يوجب القضاء فقط دون الكفارة :

ما يبطل الصيام ويوجب القضاء فقط مع الاستمرار فى الصيام بقية اليوم :

١-تناول غذاء أو ما ليس بغذاء مثل الرمل أو قطعة قطن أو غير ذلك.

٢- تناول غذاء أو غيره لعذر شرعى كالإكراه أو عن طريق الخطأ أو لعدم علمه انه يصل إلى الجوف فوصل كأن يجعل الماء يندفع من " شطافة" المرحاض فيصل الماء إلى داخل الشرج .

٣- أن يقضى شهوة الفرج غير كاملة .

٤- الحقن بجميع أنواعها فى الشرج كانت أم فى العضـــل أم فى الوريد أم فى الفرج.

٥- صب الدواء بالقصد فى أى فتحة من الجسم كـالأذن والعين والأنف والشرج أو فى الفرج.

٦- إفطار الشخص خوفا على نفسه أن يسبب له الصوم ضررا وجب القضاء مع الذنب وتسقط الكفارة للشبهة.

٧- لوصب شخص الماء على الصائم وهو نائم فوصــــل إلى جوفه.

٨- من افطر بعد أن أكل ناسيا أو بعد أن تقيئ اعتقـــادا منه انه افسد صومه وذلك لسقوط الكفارة بالشبهة.

٩- كل من افطر عامدا بعد فساد صومه لأى سبب من أسباب هذا القسم اعتقادا منه انه قد بطل صومه واعتقادا منه انه لا إمساك عليه.

١٠- من أكل أو شرب أو جامع بعد أن حل فى المدينة بعد سفر قبل الغروب.

١١- من أكل أو شرب أو جامع خطأ على اعتقاد أن الفجر لم يأتى فتبين العكس أو على اعتقاد أن الشمس قد غربت فتبين العكس .

١٢- من ادخل دخانا إلى جوفه من الفم أو الأنف أو غيره ولو كان إلى رئتيه من غير تلذذ أو منفعة أو تداوى ، فإن وقع شيء من ذلك وجبت الكفارة .

١٣- من يتعمد القيء قاصدا ولو دون ملئ الفم .

١٤- من غلبه القيء فملأ فمه.

١٥- من أكل ما في أسنانه من بقايا سحور وكان قـــدر الحمصة فأكثر.

١٦- من إحتجم أو حجم غيره (**عند الحنابلة**)

١٧- إذا ادخل عودا فى باطن أذنـــه (**عنـــد الشـــافعية والحنابلة**)

ما يوجب القضاء والكفارة:

وهو ما يبطل الصوم ويوجـــب القضـــاء والكفـــارة ، والكفارة عن كل يوم من رمضان صيام شهرين متتاليين، فـإن عجز عن الصوم فيطعم ستين مسكينا أو ما مقـــداره ســـتين

ضعف مقدار زكاة الفطر عن الشخص الواحد عن كل يـــوم افطره . وهذه المفطرات هى:

١- الجماع الكامل وهو ما كان فى أحد السبيلين علـــى الفاعل والمفعول به ، أما الاستمناء والإنزال بالنظر أو المداعبـــة أو التقبيل فيوجب القضاء فقط .

٢- الأكل أو الشرب بما يتغذى به أو يتداوى به (**خلافا للشافعية**) وتسقط الكفارة عن المرأة إذا حاضت أو ولدت فى نفس يوم الفطر الموجب للكفارة وكذلك إذا مرض الرجـــل أو المرأة مرضا مبيحا للفطر فى يومه من غير صنعة أو طرأ علـــى الشخص سفر، وتسقط الكفارة أيضا إذا اكره الشخص علـــى فعل أحد هذين المفطرين .

٣- يزيد المالكية على ذلك إخراج القيء من غير علـة أو إكراه وكذلك دخول أى شيء إلى الجوف عن عمد من غـير عذر.

حكم الحقنة فى نهار رمضان

الحقنة فى نهار رمضان توجب القضاء عنـد الجمـهور والكفارة عند المالكية ما لم تكن بعذر شرعي فتوجب القضـاء فقط وهى تفسد الصيام عند جميع الأئمة سـواء كـانت فى الوريد أو العضل أو الشرج أو الفرج أو الأذن أو الأنـف أو تحت الجلد وكذلك كافة الدهانات التى يحكم الطب بإمكانيـة امتصاصها من الجلد أو الشعر ودخولها إلى الجوف وتحركـها مع الدم ووصولها إلى اللعاب .

ولا يعتد بقول بعض الآراء الحاليـة لغـير ذوى العلـم والدراية بأن الحقن غير الشرجية لا تفطر لأنه قول على غـير

أساس من العلم الديني أو الطبي لا فرق في ذلك بين حقن تغذى الجسم كالفيتامينات والجلوكوز أو للتداوى فقط كغيرها فقد حسم ذلك الفقهاء بقاعدة عامه :

يقول علماء **الأحناف** لو أن رجلا وضع حنظلة على قدميه فوجد طعمها في فمه فسد صومة ، ويقول **المالكية** لو دهن الشخص شعره فوصل الدهن إلى حلقه من مسام شعره فسد صومه وكذلك إذا استعملت المرأة الحناء في شعرها فوجدت طعمها في فمها فسد صومها .

وحيث أن هذه الأمثلة التي ساقها الفقهاء تدل على أنه متى تأكد وصول شيء من المدهون به إلى الحلق تأكد وصوله من باب أولى إلى الجوف وعلامتهم في ذلك الإحساس بطعم ماله طعم فإذا تم تيقننا الآن بوسائل العلم اليقيني من وصول المادة المحقونة في العضل أو الوريد أو تحت الجلد إلى كافة

أجزاء الجسم بما فيها اللعاب والحلق والدم وسوائل الجسم والخلايا كان ذلك من باب أولى افسد للصوم من دهان الشعر أو الحناء أو ربط الحنظلة على القدم .

ويبقى أن نوجه سؤلا لمن أفتى بعدم إفساد الحقنة للصوم: ولماذا يتعاطى الشخص الحقنة فى الوريد أو العضل أو غيره ؟. فإما لمرض أو علة فهو قد صرح له فى الإفطار واستُحِبّ له ليتقوى على المرض بالحقن أو الشراب أو بغيره وإذا كان لغير عله فهو عبث منهى عنه فضلا عن كونه مفسد للصيام .

ما لا يفسد الصيام

١ - إذا أكل الصائم أو شرب أو جامع أو تناول أى مفطر وهو ناسيا.

٢- إذا أنزل بتفكير من غير استمناء ولا مباشـــرة مـــع الكراهية.

٣- شم الرائحة كالمسك والورد مع الكراهة

٤- الإحتجام وهو إخراج الدم من الـــرأس أو الجبهـــة **(وهو عند الحنابلة يفسد)**

٥- دخول الأشياء التى يصعب الاحتراز منها من غـــير صنعة إلى الجوف كالغبار ، ودخان فى الطريق ، و ذبابـــة أو ناموسة وغيرها .

٦- من اصبح جنبا ولو استمر إلى الغروب .

٧- إدخال عود فى الأذن (**وهو عند الشافعية يفسد**)

٨- من ابتلع مخاطه أو لعابه المجمع فى حلقه مـــن تلقـــاء نفسه من غير تعمد لتجمعه حتى ولو ابتلعه عامدا أما إذا خرج البزاق على شفتيه ثم ابتلعه فسد صومه إلا أن يرطب شــــفتاه للكلام فلا يفسد حتى لو بلعه.

٩- من غلبة القيء و لم يملأ فمه ثم ألقاه و لم يبلـــع منـــه شيء.

١٠- من أكل ما بين أسنانه من السحور أثناء النـــــهار وكان اقل من حمصة.

١١- الاحتلام وهو الإنزال أثناء النوم .

١٢- ذوق الطعام من غير مبالغة مع الكراهة .

١٣- مضغ الأم الطعام لابنها عند القدرة مع عدم بلعه.

١٤- تقبيل امرأته حتى ولو مضغ شفتيها مع الكراهة .

١٥- جمع الريق فى الفم ثم ابتلاعه مع الكراهة .

١٦- السواك .

١٧-المضمضة والاستنشاق ولو بغير وضوء .

١٨-الاغتسال فى الحر بماء بارد لتلافى العطش أو التبرد بالماء .

المحتويات

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٩٧/ ١٥١٦٥

الترقيم الدولى

I.S.B.N. 977-5798-02

الناشر



دار الهدى للنشر و التوزيع

٥٥ شارع الدكتور الخمساوى - عرب العبايدة - الخانكة

تليفون و فاكس ٤٦٣٣٠٧٥